الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

Démocratique Populaire République Algérienne

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي، جامعة 8 ماي 1945 قالمة

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique, Université 8 mai 1945 Guelma

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم:.....

Université du 8 mai 1945 Guelma

Faculté des Lettres et Langues

Section de langue et littérature arabe

N°:.....

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستر

(تخصص: لسانيات تطبيقية)

إِستراتيجِيات التمثيلِ عنْد ابنِ مالك منْ خلالِ الألْفيّةِ

مقدمة من قبل: درغوم عبد الناصر.

تاريخ المناقشة: 2018/06/25.

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
لطيفة روابحية	أستاذ مساعد "أ"	رئيسا
عبد الباسط ثمانية	أستاذ مساعد "أ"	مشرفا ومقررا
نبيلة قريني	أستاذ مساعد "أ"	ممتحنا

السنة: 2017-2018

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾

ٱلْعَنكَبُوتِ: ﴿٤٣﴾.

شُكرٌ وَعِرفَانٌ

يَطيبُ لي أن أغتنمَ هذه الفرصةَ الأسديَ جزيلَ الشكرِ وجميلَ العرفانِ لكل من كان سببا من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل...

فالحمد والشكر لله أولا وآخرا، ظاهراً وباطنا على ما أنعم به سبحانه إنه لطيف خبير.

ثم الشكر للوالدين الكريمين، ما لا يوفي المقام باستيفائه... لاسيّما الوالدة الكريمة التي لولا الله ثم فضائلها لما كنت شيئا يذكر..! فجزاها الله خيرًا في الدنيا والآخرة...

وشكر الله لأساتذتي الذين شرفت بالتتلمذ على أيديهم، وأخص بالذكر أستاذتيَ:

قريني نبيلة، وروابحية لطيفة لجميل عونهما، وكبير دعمهما، فجزاهما الله خيرا كثيرًا...

والشكر لكل أصحابي الفضلاء وإخواني الأوفياء...

والشكر كل الشكر لأستاذي الفاضل ومشرفي المناضل: ثمامنية عبد الباسط، الذي لم يبخل علي بالنصح والإرشاد، فلولا الله ثم هو ما كان لهذا العمل أن يتم على هذه الصورة، فجزاه الله خيرَ ما جزى أستاذًا عن طالبه...

مقدمة

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:102].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[النساء:1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[الأحزاب:70].

أما بعد:

فإن المتأمل لما آل إليه أمر الدرس النحوي، ليجد أنه قد صار حلبة يعترك فيها مختلف أنواع آفات التعليم، حتى أضحى أمره إلى ما هو مشاهد اليوم، من خلط في المادة العلمية، وتقصير في كيفية التعليم فضلا عن المناهج الدراسية التي لا يزيدها تقادم الزمن إلا اعوجاجا، حتى أضحت لكل مفسدة طريقا ومنهاجا! ومن المشكلات التي تمس النحو في جانبه التعليميّ، ما يتعلق بآليات تقديم المادة النحوية للمتعلمين، ويختص الأمر بالأمثلة النحوية، التي شكلت منذ ظهور النحو جزءًا أساسا في توضيح النحو لطالبيه، وتقريبه لمبتغيه، غير أن الناظر في هذه الأمثلة، يجد أنها في الغالب لم تلق العناية اللازمة ولا الاهتمام الكافيَ من لدن النحاة ولا غيرهم ممن عالج قضايا الدرس النحويّ، فكانت بذلك عرضة للاستعمال العشوائي الذي ما فتئت آثاره تلقي بثقلها، حتى أضحت أمثلة النحو محط تنفير تارة ومحط سخرية تارة أخرى.

من هذا المنطلق يأتي هذا البحث الموسوم بـ"إستراتيجيات التمثيل عند ابن مالك من خلال الألفية" ليضع هذه الإشكالية محل الدراسة والبحث، بعد أن لوحظت ثغرةٌ كبيرة في الدراسات النحوية

التي تعنى بهذا الجانب من النحو، إلا ما كان من إشارات متناثرة هنا وهناك، لا ترقى لتكون بحثا في الموضوع فضلا عن طرح البدائل والعلاج له.

وترجع أسباب اختيار هذا الموضوع لسنين خلت من التفكُّر في هذا الموضوع، والبحث عن سبل علاجه في الأوساط التعليمية، حتى أذن الله تعالى بإنجاز هذا البحث الذي يهدف لكشف جوانبَ من هذه الإشكالية، ومحاولة تقديم الحلول المقترحة لعلاجها، فقد كان موضوع أمثلة النحو هاجسا للباحث طيلة مساره في تعلم النحو العربي وتعليمه، لما اكتسى هذا الأخيرَ من الغبش والغلط تناولًا وتداولًا، حتى أضحى كغيره في علوم العربية ثغرة يقدح فيها الناقدون، وثلمة يطعن منها الناقمون، والله المستعان على ما يصفون.

ويعود السبب في اختيار ألفية ابن مالك نموذجًا للدراسة إلى اهتمام الباحث بهذا المتن منذ أمدٍ فكانت هذه فرصة جيدة لتعميق الصلة به، ثم لكون الألفية أنسب نموذج للدراسة من حيث هو نظم والعادة أن النظم يضيق على الناظم حتى يضطره إلى ما لا يجوز مثله في النثر، ومع ذلك برزت هذه الظواهر التمثيلية بجلاء وتواتر، مما جعل من الألفية نموذجا مثاليا للبحث والدراسة.

وفي سبيل تناول هذا البحث، فقد عالج الباحث هذا الموضوع متوسلا بآليات المنهج الوصفي التحليلي وهو المنهج الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفا دقيقا ولا يقف هذا المنهج على مجرد جمع البيانات ووصفها، وإنما يتعدى ذلك إلى محاولة التشخيص والتحليل والربط والتفسير للبيانات المجموعة، ثم تصنيفها، وقياسها وبيان نوعية العلاقة بين متغيراتها وأسباب ذلك واتجاهاته ثم يستخلص النتائج بغية فهم الحاضر لتوجيه المستقبل.

وقد جاء البحث مقسما إلى ما يلي:

- مقدمة: قدَّمَتْ للبحث، مبينةً: إشكاليته، وعنوانه، وعلاقة الباحث به، وأسباب اختياره، والأهداف المرجوة من إنجازه، والمنهج المتبع فيه، مع بيان أقسام البحث، والصعوبات التي واجهت الباحث أثناء إعداد البحث، ثم ذكرت أهم المصادر والمراجع التي اعتمد البحث عليها.
- الفصل النظري: تناول المصطلحات التي وردت في العنوان بالدراسة، فشمل بذلك أربعة مباحث:

- الأول في ترجمة ابن مالك: ترجمة مختصرة، تطرقت لاسمه ونسبه، وطلبه للعلم، ونبوغه وثناء العلماء عليه، ثم وفاته –رحمه الله–.
- الثاني في التعريف بالألفية: ببيان اسمها وعدة أبياتها، وأصلها، وطبعاتها، ومكانتها، وشروحاتها.
- الثالث في مصطلح "الإستراتيجية"، وتضمن ثلاثة مطالب:
  - الأول في تعريف الإستراتيجية لغة واصطلاحا،والتفريق بين الإستراتيجية والطريقة والأسلوب.
  - الثاني في خصائص الإستراتيجية.
  - الثالث في أهمية الإستراتيجية في العملية التعليمية–التعلُّمية.

- الرابع في مصطلح "التمثيل" وما يتعلق به، واشتمل على ثلاثة مطالب:
  - الأول في تعريف التمثيل لغة واصطلاحا، وتناول الفروق بينه وبين كل من المثَل، والشاهد.
  - الثاني في بلاغة التمثيل.
  - الثالث في أهمية التمثيل.

- الفصل التطبيقي: وهو لبُّ البحث وأكثر مادته، وتناول تمهيدًا، ثم دراسة الإستراتيجيات التمثيلية التي بلغت عدتها عشر إستراتيجيات كالتالي: الإستراتيجية المنهجية، والإستراتيجية التربوية والإستراتيجية السلوكية، والإستراتيجية الخلقية، والإستراتيجية العقدية، والإستراتيجية الفكرية والإستراتيجية الأدبية، والإستراتيجية الفقهية، والإستراتيجية النفسية، والإستراتيجية الكلية.
وقد تم تناول ثلاثة نماذج على الأقل بالدراسة في كل إستراتيجية، وذلك في الغالب إلَّا أنْ تكون النماذج محدودة العدد في الألفية فتم استيعابها بالدراسة.
- خاتمة: تناولت أهم نتائج هذه الدراسة، مشفوعة ببعض الاقتراحات بناءً على ما تم التوصل إليه.
- قائمة المصادر والمراجع.
- فهرس: لموضوعات البحث.

هذا، وإن تكن من صعوبة قد واجهت الباحث في أثناء بحثه فما كان من عناء تخير الموضوع، لما يكتنف ذلك من عوامل جعلت هذه العملية عملًا دقيقًا، لوجوب مراعاة المستوى الدراسي، والفترة الزمانية المتاحة، ونوعية العمل المتوقعة، وغير ذلك مما كانت محصلته اختيار العنوان الحاليّ، فـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[الأعراف:43].

أما المصادر والمراجع التي اعتمدت في البحث فهي بحمد الله كثيرة، لكن اثنين منها كان لهما الحضور البارز في البحث، وعليهما كان المُعَوَّل -بتوفيق الله- في توثيق كثير من مادة البحث، فالأول كتاب أبي إسحاق الشاطبي (ت 790هـ) الموسوم بـ"المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية"، و الثاني شرح محمد بن صالح العثيمين (ت 1421هـ) الموسوم بـ"شرح ألفية ابن مالك"، وقد كانا خير مستند في استخراج أسرار تمثيلات ابن مالك، لما تميزا به من عناية ببيان مقاصد الناظم من أمثلته، بخلاف غيرهما من شراح الألفية —على كثرتهم- ممن لم يعر الأمثلة اهتماما يذكر، بل اتهم بعضهم —على جلالته- الناظم بإيرادها حشوًا في الكلام لا طائل وراءه، وهذا يدل على تفاوت الأنظار بحسب العلم والفهم وقد يفتح الله على أحد ما لا يفتحه على غيره، و﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

كما تجدر الإشارة إلى أهمية التحقيق الراقي الذي خدم به المحقق سليمان العيوني الطبعة المعتمدة في الألفية —وهي المقصودة عند الإطلاق في البحث- مع ما اشتمل عليه تحقيقه من الفهارس المفصلة والإخراج الفني الراقي الذي يليق بمقام الألفية، فجزاه الله خيرًا.

هذا، والله وحده المسؤول أن يكتب لهذا العمل المتواضع القبول، وصلى الله على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الفصل النظري

التأسيس النظري للمصطلحات: وفيه:

- المبحث الأول: ترجمة ابن مالك.
- المبحث الثاني: التعريف بالألفية.
- المبحث الثالث: الإستراتيجية.
- المبحث الرابع: التمثيل.

المبحث الأول

ترجمة ابن مالك

المبحث الأول: ترجمة ابن مالك:

الإمام ابن مالك ذو شهرة تغني عن الإطالة في التعريف به، فهو أشهر من نار على علم، غير إن هذا لا يغني عن الوقوف على جوانب من سيرته، لعلها تكشف لنا شيئا من أسرار تكوين ذهنيته العلمية، التي أهلته ليتبوأ المكانة التي وصل إليها.

1-اسمه ونسبه: هو محمّد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك العلامة جمال الدين أبو عبد الله الطَّائِي الجيَّانيُّ الأندلسي الشَّافِعِي النحوي، إمام النحاة وحافظ اللغة[1]، اختُلِف في أسماء آبائه، وفي تأريخ ولادته في حدود عام 600هـ.

2-طلبه للعلم: بدأ طلبه العلم في قطره بالأندلس، لكنه سرعان ما هاجر إلى المشرق وتتلمذ على أيدي علمائها، "فأقام بحلب مدة، ثم بدمشق، وكان كثير الاجتماع بابن خلِّكَانَ، وأثنى عليه غير واحد، وروى عنه القاضي بدر الدين بن جماعة"[2] وكان قد "سمع بدمشق من السخاوي والحسن بن الصَّباح وجَمَاعَة وأخذ الْعربية عن غير واحد، وجالس بحلب ابن عمرون وغيره، وتصدر بها لإقراء العربية"[3]، فيظهر من هذا أن ابن مالك و إن كان أندلسي المنشأ إلا أنه مشرقي التعليم باعتباره شيوخه، وهذا ما جعل بعضهم يتردد في الإقرار بوجود مدرسة أندلسية في النحو يشكل ابن مالك أشهر أعلامها، على اعتبار أن المبرِّزين فيها كابن خروف (ت 609هـ) وابن عصفور (ت 669هـ)، والشلوبينِ (ت 645هـ)، وابن الضائع (ت 680هـ) لم تكن لآرائهم سمة مدرسة خاصة، فلم يبق إلا ابن مالك وأبو حيان (ت 745هـ)؛ أما ابن مالك فقد خرج من الأندلس صغيرا، وجلُّ تعليمه كان بالمشرق كما مرَّ، ومثله أبو حيان فقد خرج صغيرا أيضا، ولم يجد من يتتلمذ عليه فعكف على الكتب، وعلى هذا فكونهما ذوي أثر واسع في النحو وتعليمه في الشرق فهذا صحيح، لكن مرد ذلك إلى شخصيتهما لا إلى أندلسيتهما[4]، وهذه من الفوائد العلمية النفيسة التي تكشفها لنا سيرة ابن مالك.

---

1 ينظر: جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، مصر، 1964، ج1، ص130.

2 عماد الدين بن كثير، البداية و النهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، 1997، ج17، ص514.

3 جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مرجع سابق، ج1، ص130.

4 ينظر: سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، دار الفكر، سورية، د.ت، ص100 و ما بعدها.

3–نبوغه وثناء العلماء عليه: وقد نبغ ابن مالك في كثير من العلوم، و كان محل الإعجاب و الإجلال من كبار علماء عصره، حتى ذكر السيوطي (ت 911هـ) أنه "كان إماما في القراءات وعللها وأما اللغة فكان إليه المنتهى في الإكثار من نقل غريبها، والاطلاع على وحشيها، وأما النحو والتصريف فكان فيهما بحرا لا يجارى، وحبرا لا يبارى. وأما أشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو فكانت الأئمة الأعلام يتحيرون فيه، ويتعجبون من أين يأتي بها! وكان نظم الشعر سهلا عليه: رجزه وطويله وبسيطه وغير ذلك؛ هذا مع ما هو عليه من الدين المتين، وصدق اللهجة، وكثرة النوافل وحسن السمت، ورقة القلب، وكمال العقل، و الوقار والتؤدة"[1]. فاجتماع كل هذه العلوم عند ابن مالك وامتزاجها في ذهنيته كان له الأثر الظاهر في أعماله.

وقد أجمع أهل العلم على إمامته وتقديمه؛ قال عنه السبكي (ت 771هـ) "الْأُستاذ الْمُقدَّم في النحو واللغة [...] كانَ إماما فِي اللُّغة إِمَامًا فِي حفظ الشواهد وضبطها إماما فِي القراءات وعللها وله الدّين المتين والتَّقوى الراسخة"[2]، وله مؤلفات كثيرة في فنون شتى كتب الله لبعضها قبولا إلى يومنا هذا أشهرها (الكافية الشافية)، و (شرحها)، و (التسهيل)، و (شرحه)، و (الألفية)[3] و غيرها كثير.

4–وفاته: توفي رحمه الله تعالى ثاني عشر شعبان سنة 672هـ[4] عن بضع و سبعين سنة ورثاه أفاضل من عاصره.

1 جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مرجع سابق، ج1، ص130.

2 تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناحي و عبد الفتاح الحلو، دار هجر، ط2، سورية، 1413هـ، ج8، ص67.

3 ينظر:عماد الدين بن كثير، البداية و النهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مرجع سابق، ج17، ص514.

4 ينظر: جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مرجع سابق، ج1، ص134.

المبحث الثاني

التعريف بالألفية

المبحث الثاني: التعريف بالألفية:

تنتمي الألفية إلى الشعر التعليمي، و هو نمط من النظم بدأ منذ عصور متقدمة ثم شاع و انتشر في عصر المماليك و لا يزال إلى اليوم، و يُقصَد به في الأصل تسهيلُ الوصول إلى أنواع العلوم، فالنظم أبقى في الحفظ، و أعذب في السمع، و استذكاره أقرب، و نسيانه أصعب، لما يمتاز به عن المنثور من وزن وقافية[1].

وتُعَدُّ الألفية لابن مالك إحدى أشهر المنظومات في النحو منذ تأليفها إلى اليوم، و أصبحت عمدة في تعلم النحو وتعليمه؛ إذ هي القمة في سلم متون طلب علم النحو.

1-اسمها وعدة أبياتها: واسم (الألفية) لمنظومة ابن مالك هو باعتبار الشهرة والوصف؛ فقد اشتهرت بهذا الاسم نسبة لعدة أبياتها التي تقرب من ألف (1000) بيت _على خلاف يسير بين المحققين_ من بحر الرجز، و لهذا قال المصنف[2]:

وَأَسْـــــــــتَعِينُ اللهَ فِي أَلْفِيَّـــــــــةْ * مَقَاصِـــــدُ النَّحْـــــوِ بِهَـــا مَحْوِيَّـــةْ

و إن كان مصنفها قد صرح بتسميتها (الخلاصة) في أواخر الأبيات فقال[3]:

وَمَـــا بِجَمْعِـــهِ عُنِيـــتُ قَـــدَ كَمُـــــلْ * نَظْمًـــا عَلَـــى جُـــلِّ الـــمُهِمَّاتِ اشْتَمَـــلْ

أَحْصَـــى مِـــنَ الكَافِيَـــةِ الخُلَاصَـــةْ * كَـــمَا اقْتَضَـــى غِـــنًى بِـــلَا خَصَاصَـــةْ

2-أصل الألفية: والبيتان الأخيران يصرح فيهما ابن مالك بأن نظمه (الخلاصة) جاء اختصارا لنظم آخر له، و هو (الكافية الشافية)، و هي منظومة طويلة في النحو والتصريف تجاوز عدد أبياتها خمسين وسبعمئة وألفي (2750) بيت و قد شرحها في كتابه المشهور (شرح الكافية الشافية)، ولعل السبب الذي دعا ابن مالك لاختصار الكافية الشافية هو عدم شهرتها وقلة الانتفاع بها لطولها، علاوة على كثرة تنقيحه لها واستدراكه لما فيها، فاختصرها في الألفية اختصار معنى أحيانا، و اختصار لفظ أحيانا أخرى، وقد يورد أبيات الكافية الشافية كما هي في مواضع، وقد يغير الترتيب في مواضع أخر[4].

---

1 ينظر: صالح آدم بيلو، حول الشعر التعليمي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، العدد 52، د.ت، ص206.

2 الألفية: 3.

3 الألفية: 999، 1000.

4 سليمان العيوني، ألفية ابن مالك في النحو و التصريف، مكتبة دار المنهاج، السعودية، 1428هـ، ص29-32.

3–طبعاتها: وقد طبعت الألفية مرارًا، وخُدِمَت خدمة جليلة تليق بمقامها: شرحا وتحقيقا، وتعليقا وتدقيقا والنسخة المعتمدة في هذا البحث هي التي بتحقيق سليمان العيوني، نظرا لما امتازت به نسخته من العناية في التحقيق، وجمع النسخ والمصادر، والمقابلة بينها، ومطالعة أكثر ما وُجد من الطبعات السابقة وتلافٍ لما وقع فيها من خطأ أو تحريف، أوسهو أو تصحيف، وكذا لما امتازت به هذه النسخة من إخراج فني راقٍ، يليق بمكانة هذا العمل الجليل، والسفر المبارك المستحق التبجيل.

4–مكانة الألفية: ومما يدل على رفيع المكانة التي تحتلها الألفية: الثناءاتُ العاطرة، والشهادات المتكاثرة لجموع من أهل العلم في القديم والحديث، قال ابن الناظم (ت 686هـ) "قد اشتمل [يعني نظم الألفية] على أعظم المهمات من علم العربية"[1] وقال ابن هشام (ت 761هـ) "نظْمُ الإمام العلامة جمال الدين أبي عبد الله محمد بن مالك الطائي –رحمه الله– كتابٌ صَغُرَ حجما، وغَزُرَ علما"[2] وقال الشاطبي (ت 790هـ) "هذه الأرجوزة تضم أطراف المعاني البعيدة عن التحصيل والضبط فتضبطها بقوانين وجيزة مختصرة، حتى تجمعها سهلة الانقياد، لا تتعاصى على ذي فهم، ولا تشذ عن الضبط [...] إذ كان قد سهل فيها طريق التحصيل، ويسَّر الأمر على منتحليه"[3]، و قال عبد الله الفوزان "جاءت ألفية ابن مالك شاملة لأبواب النحو، منظمة الأبواب، سهلة الاستيعاب"[4]، و قد تكفي شهرة المؤلف عن التوسع في الثناء على المؤَلَّف.

5–شروحات الألفية: ومما يدل على علو قدرها أيضا كثرة ما عليها من شروح وحواشٍ، ونثر لأبياتها وإعراب لكلماتها، و كثرة ذلك "تدل على أهمية الألفية و قيمتها عند النحاة"[5] ومن ذلك: شرح ابن الناظم و شرح ابن أم قاسم (749هـ) المسمى (توضيح المقاصد و المسالك بشرح ألفية ابن مالك)، و شرح ابن هشام المسمى (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، و شرح ابن عقيل (769هـ) و هو مشهور [وشرح الشاطبي الموسوم بـ(المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الشافية)[6]] و شرح المكودي (801هـ)

1 ابن الناظم، شرح ابن الناظم على ألفية بن مالك، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، 2000، ص621.

2 جمال الدين ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، لبنان، د.ت، ج1، ص10.

3 الشاطبي، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، جامعة أم القرى، السعودية، 2007، ج1، ص20.

4 عبد الله الفوزان، دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، دار المسلم، السعودية، د.ت، ج1، ص10.

5 نفسه، ج1، ص16.

6 وهو من أعظم شروحات الألفية على الإطلاق، إن لم يكن أعظمها، فلا أدري لعل ابن قاسم ذهل عنه حين تعداد الشروح.

وشرح السيوطي المسمى (النهجة [أو البهجة] المرضية في شرح الألفية)، و شرح ابن الغرابيلي (918هـ) المسمى (فتح الرب المالك بشرح ألفية ابن مالك)، و شرح الأشموني(929هـ) المسمى (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك)، و شرح الطرنباطي (1214هـ)، و شرح ابن زيني دحلان المكي (1304هـ) المسمى (الأزهار الزينية في شرح متن الألفية)، و شرح الشرنوبي (1348هـ) المسمى (إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك)، و شرح صالح بن عبد السميع الآبي الأزهري (1335هـ) المسمى (الكواكب الدرية في منظومة الألفية)، و شرح النقرشي اللاهوتي، و شرح التغريشي المسمى (البديعة في شرح الألفية)، و شرح محمد بن عبد العزيز العبد، و شرح محمد عبد المسمى (نحو الألفية)، و شرح صبيح التميمي، و غيرها مما هو مطبوع كثير، أما المسجل المسموع فكثير جدا و لا يزال يصدر منه إصدارات إلى اليوم، أما الحواشي فهي بكثرة الشروح، فما من شرح من الشروح السابقة إلا و له حاشية أو تعليق على الأقل[1] وما هذه الخدمة، و لا تلك العناية إلا دليل على أهمية هذا الكتاب.

1 ينظر: عبد العزيز بن قاسم، الدليل إلى المتون العلمية، دار الصميعي، السعودية، 2000، ص514-534.

المبحث الثالث

الإستراتيجية

المطلب الأول: تعريف الإستراتيجة:

أ–لغة :

الإستراتيجية اسم معرَّب على زنة المصدر الصناعيّ، ويقابله في اللغة الأجنبية مصطلح (Strategy) بالإنجليزية و (Stratégie) بالفرنسية، ويعود أصل الكلمة إلى (Stratagem) التي تعود بدورها إلى أواخر القرن الخامس عشر ميلادي (15م) (و كانت تشير إلى معنى"الخدعة العسكرية"): من الكلمة الفرنسية (Stratagéme) التي تحولت إلى اللاتينية من الإغريقية (stratēgēma)، وأصلها (stratēgein) و تعني "الجنرال" من (stratēgos) التي تتكون من شقين: (stratos) وتعني جيش و(agein) وتعني: قائد[1] فيظهر من هذا أن مصطلح "الإستراتيجة" وُضِعَ ابتداءً في حقل المصطلحات العسكرية، ليدل على معاني التخطيط الحربي، والخداع العسكري.

ويورد معجم أوكسفورد (Oxford) الإنجليزي لمصطلح (Strategy) تعريفين؛ أوَّلُهما تعريف شامل عامٌّ بأنه:

"A plan of action designed to achieve a long-term or overall aim"[2].

فهو إذن: خطة عمل مصممة لتحقيق هدف شامل أو طويل الأجل.

أما التعريف الآخر فخاص بالحقل العسكري الذي ارتبط به مصطلح (Strategy) ارتباطا أوَّليًّا:

"The art of planning and directing overall military operations and movements in a war or battle"[3].

أي إنه: فن التخطيط، وتوجيه العمليات العسكرية، وتحركاتها، في حرب أو مواجهة، ويستفاد من التعريف المزدوج أن هذا المصطلح قد توسع دلاليا؛ فلم يعد استعماله مقصورا على الميادين الحربية والحقول العسكرية فحسب، بل أصبح متداولا في مجالات عدة: سياسية، اقتصادية، تعليمية...

أما معجم لاروس (Larousse) الفرنسي فيورد لهذا المصطلح أربعة تعريفات: فيتناول في الأولين المصطلح بمدلوله العسكري قريبا مما ذكره معجم (Oxford) من قبلُ، أما في الثالث فيعرفه تعريفا عاما بأنه:

"Art de coordonner des actions, de manœuvrer habilement pour atteindre un but"[4].

فهو إذن: فن تنسيق الإجراءات، أو المناورة بإتقان لتحقيق الهدف.

---

1 Voir: Oxford, https://en.oxforddictionaries.com/definition/stratagem
2 Voir: Oxford, https://en.oxforddictionaries.com/definition/strategy
3 Voir: Idem.
4 Voir: Larousse, http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/stratégie/74818?q=stratégie

وفي التعريف الأخير يورد المعنى في سياق نظرية الألعاب على أنه مجموعة من القرارات المتخذة بناءً على الافتراضات السلوكية للأشخاص المعنيين في حالة معينة[1]، ويظهر بهذا أن المعنى العام للمصطلح لم يخرج عن الدلالة العامة للإستراتيجية وإن كان في المجال العسكري أو في مجال الألعاب.

ويتبيّن إذن من التعريفات السابقة أن مصطلح "إستراتيجية" يقوم على أسس ثلاثة هي:الهدف والخطة والإجراءات، فالمحصلة في تعريف الإستراتيجية لغةً هي: خطة مشفوعة بمجموعة إجراءات عملية لتحقيق هدف معين.

ب–اصطلاحا:

لا يختلف مصطلح الإستراتيجة في تعريفه اللغوي عن تعريفه الاصطلاحي العام –في الجملة– فهي "خطة في المقام الأوَّل للوصول إلى الغرض المنشود"[2]، و الإستراتيجة تتضمن بعدين أساسين هما: البعد التخطيطي و البعد المادي؛ أما البعد الأول فيتعلق بالتخطيط النفسي على المستوى الذهني الذي يسبق الإجراءات، و يرتكز أساسا على تصورات مسبقة لمراحل تنفيذ العمل، وأما البعد المادي فيجسد الإجراءات الفعلية التي تؤدي للوصول إلى الهدف المنشود، و التي تكون أساسا محددة بالأطر العامة التي سبق التخطيط لها[3]، وهذا التعريف العام شامل لأغلب أنواع الإستراتيجيات في الميادين المختلفة، ولا يخرج عن ذلك مفهوم الإستراتيجة في المجال التعليمي، غير إنها تلتبس كثيرا بمصطلحات قريبة من معناها كالطريقة، والأسلوب وغيرهما، وهذا التقارب يجعل عملية التفريق بينها من الصعوبة بمكان، غير أنه في إطار هذا البحث ليس بذي خطر لسببين:

أولهما: تحقُّقُ الكفاية الاصطلاحية باستعمال أحد المكافئات اللفظية للمفهوم الواحد أو القريب من الواحد؛ فليس الغرض من البحث التنظير للإستراتيجيات وأنواعها، وفروق ما بينها، وتفاصيل ذلك حتى يكون للتفريق بين المصطلحات المتقاربة –بله المتداخلة– ذلك الشأن الكبير، بل غاية الأمر إيجاد مصطلح دالٍّ على المراد، وهو في هذا البحث ما جمع معاني (الهدف + الخطة + الإجراء)، وذلك كله يوفره مصطلح (الإستراتيجة) كما سبق بيانه من قبلُ، وهو بذلك يحقق "الكفاية الاصطلاحية"، هذا علاوة عن كون المصطلح مستعملا بالفعل في المجال التعليمي كما هو ظاهر في مراجع البحث.

أما السبب الآخر فهو أنه لا مشاحة في الاصطلاح إذا كان المعنى متفقا عليه –في العموم على الأقل–

1 Voir: Larousse, http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/stratégie/74818?q=stratégie

2 عبد الهادي الشهري، إستراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2004، ص53.

3 ينظر: المصدر نفسه، ص53.

ويغالي البعض في تحري الدقة الاصطلاحية ويفاضلون بين المتقاربات من الألفاظ ويتكلَّفون التفرقة بينها "فإن ادعوا أن التفرقة شرعية أو لغوية فليس في اللغة ولا في الشرع ما يقتضيه، وإن كانت اصطلاحية فلا مشاحة في الاصطلاح"[1]. وليس الغرض من هذا الطرح التفصيل في مصطلح الإستراتيجة وما يتعلق به بقدر ما هو تقديم نظري اقتضته الضرورة المنهجية، وإلا فجوهر البحث ما يأتي بعدُ.

هذا وتعرَّف الإستراتيجية في ميدان التعليم تعريفات عديدة لا تخرج في جوهرها عن المعنى الذي قدمناه آنفاً، ومن تلك التعريفات:

-أنها "كل ما يتعلق بأسلوب توصيل المادة للطلبة من قبل المعلم لتحقيق هدف ما، وذلك يشمل كل الوسائل التي يتخذها المعلم لضبط الصف وإدارته، هذا بالإضافة إلى الجو العام الذي يعيشه الطلبة والترتيبات الفيزيقية التي تسهم في عملية تقريب الطالب للأفكار والمفاهيم المبتغاة"[2]، ويُفهَم من هذا التعريف أن الإستراتيجة في المجال التعليمي تشمل عناصر عديدة كأسلوب الشرح والتقديم، والوسائل التعليمية بمختلف أنواعها، والمحيط التعليمي بكل ملابساته، وبالجملة فهي تشمل كل ما من شأنه المساهمة في الوصول إلى الهدف التعليمي المنشود، وهو أساسا -حسب التعريف- تقريب الأفكار والمفاهيم للطالب، غير إن المناهج الجديدة كمنهج المقاربة بالكفاءات لم يعد تبليغ الأفكار والمفاهيم أقصى أهدافها، بل أصبحت تسهدف إكساب المتعلم الكفاءات التي تؤهله لمعالجة وضعيات الحياة الحقيقية، و ذلك يتجاوز مجرد اكتساب أفكار أو مفاهيم.

وفي المراجع الأجنبية نجد التعريف نفسه تقريبا؛ إذ تعرف على أنها:

"A complex educational behavior of a teacher in using methods, techniques, tools, discipline and communications in order to achieve goals and /or objectives"[3].

والمعنى: أن الإستراتيجية سلوك تعليمي معقد للمعلم في استخدام الأساليب والتقنيات والأدوات والانضباط والاتصالات من أجل تحقيق الأهداف، ونستفيد من هذا التعريف أن الإستراتيجية أعم من الأساليب، و التقنيات، والأدوات... فهي مزيج معقد ومتجانس من ذلك كله في سبيل تحقيق أهداف معينة، "وهذا يعني أن الإستراتيجة مفهوم شامل ينطوي على الطرائق، والأساليب، والإجراءات الخاصة بالتدريس، وما يتصل بها"[4]، وهذه الشمولية هي ما أعطت المصطلح خصوصياته المميزة له.

---

1 جمال الدين الإسنوي، نهاية السول شرح منهاج الوصول، دار الكتب العلمية، لبنان، 1999، ص24.

2 فراس السليتي، استراتيجيات التعلم و التعليم، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008، ص8.

3 Voir: Yun Ho Shinn, Teaching strategies, their use and effectiveness as perceived by teachers of agriculture, Iowa State University Ames, Iowa, 1997, p11

4 محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، دار المناهج، الأردن، 2009، ص342.

-الفرق بين الإستراتيجة والطريقة والأسلوب:

يظهر من كل ما سبق أن هناك تداخلا بين مصطلح الإستراتيجة ومصطلحات أُخَرَ تنتظم في سلك معناه، ولعل أبرز تلك المصطلحات وأجدرها بالوقوف على فروق ما بينها و بين مصطلح الإستراتيجة = مصطلحا الطريقة والأسلوب.

فأما الطريقة التدريسية فهي "الإجراءات المخططة التي يؤديها المدرس لمساعدة المتعلمين في تحقيق أهداف محددة وتتضمن كافة الكيفيات، والأدوات والوسائل التي يستخدمها المدرس في أثناء العملية التعليمية تحقيقا لأهداف محددة"[1]، فالطريقة إذن تشكل الجانب الإجرائي للإستراتيجية، وهو يتخذ أشكالا وصورا متعددة بحسب المقامات التعليمية المختلفة، فقد يتطلب مقام طريقة الحوار، وقد يتطلب آخر طريقة حل المشكلات أو تنفيذ المشاريع، أو غير ذلك من الطرائق المستعملة في التعليم.

وأما الأسلوب التدريسي فهو "مجموعة القواعد والضوابط والكيفيات التي تؤدى بها الطريقة من المدرس [...] فالأسلوب يرتبط بالمدرس وسماته الشخصية، وهو جزء من الطريقة"[2]، فالأسلوب إذن التأدية الشخصية للطريقة التدريسية، بحيث يتمايز كل مدرس من الآخرين بأسلوبه الخاص، وهذا الأسلوب تشحذه عوامل عدة منها: الفطرة، والموهبة، وطول التجربة، والخبرة، وكثرة الاشتغال مع التطوير الدائم.

ويمكن أن نجمل الفرق بين المصطلحات الثلاثة في أربعة عناصر[3]:

-إن الإستراتيجة أوسع من الطريقة، والطريقة أوسع من الأسلوب.

-إن الإستراتيجة تشتمل كل ما من شأنه التوصيل للأهداف بما في ذلك الطرائق، أما الطرائق فتعنى بالجانب الإجرائي لعملية التعليم.

-الإستراتيجية تتعلق بالموقف التعليمي، في حين تتصل الطريقة بطبيعة المادة.

-بين الإستراتيجية و الطريقة عموم وخصوص؛ فالطريقة من مكونات الإستراتيجة.

1 محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، مرجع سابق، ص342.

2 نفسه، ص343.

3 نفسه، ص243-244.

المطلب الثاني: خصائص الإستراتيجة:

للإستراتيجية خصائص عامة تتمثل في "أنها:

-عمل عقلي

-مبني على افتراضات مسبقة

-تتجسد من خلال أدوات و وسائل تناسب سياق استعمالها"[1].

أما الخاصية الأولى فهي كون الإستراتيجة عملا عقليا؛ و ذلك فيما يتصل بالجانب التخطيطي في الذهن؛ إذ تتطلب وضع تصور شامل لسيرورة العمل المؤدي للوصول إلى الغاية المطلوبة.

و أما الخاصية الثانية فهي كون العمل العقلي مبنيا على افتراضات مسبقة؛ فمن من معالم التفكير الإستراتيجي التوقع و التنبؤ بكل الملابسات التي تحيط بالعمل، فتوضع الافتراضات المناسبة لكل حالة ويتم على أساس ذلك أخذ التدابير المطلوبة في كل مرحلة من مراحل تنفيذ الخطة.

وأما الخاصية الأخيرة فهي تتعلق بالبعد الإستراتيجي المادي؛ فالإستراتيجية إذا لم تَعْدُ الذهن فهي خطة فإذا انتقلت إلى التجسيد عبر الوسائل المادية المناسبة لكل سياق فهي حينئذ إستراتيجية، فيظهر من ذلك التكامل بين البعدين: الذهني النفسي، والمادي الإجرائي، الذين من خلالهما يتم تحقيق جملة الأهداف المنشودة.

1 عبد الهادي الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص55.

المطلب الثالث: أهمية الإستراتيجة:

نستطيع من خلال ما سبق أن نستشف شيئا من أهمية الإستراتيجيات في عملية التدريس، من حيث وجودُها ابتداءً، وتفعيلُها تبعًا، وحسنُ توظيفِها بعد ذلك بحسب المقامات التعليمية المختلفة.

وتظهر أهمية الإستراتيجة في أنها تُعَدُّ "من المهارات والأساليب الهامة والضرورية لعمل المعلم في حقل التدريس. وعدم معرفة المعلم بنوعية الطلبة، وبمقدراتهم الجماعية والفردية على التعلم والتقدم، قد يؤدي ذلك إلى تخبط المعلم لدى اختيار الوسائل، عندما يفكر في كيفية الوصول إلى طلبته"[1]، فوجود إستراتيجيات واضحة لدى المعلم من الضرورة بمكان؛ إذ هي تعصمه من التخبط والحيرة أثناء ممارسته للعملية التعليمية، فالإستراتيجية تبيّن النهج الذي ينبغي أن يسير فيه المعلم بغية الوصول لأهدافة المسطرة المنشودة.

كما إن الإستراتيجيات "تعمل على تقريب الطالب من المادة التعليمية، وتسهل عليه الفهم. كما وتخدم المعلم في أغراض تربوية حيوية، تساعده في تنويع المواد والمهمات وتبسيطها لدرجة تلائم ذوي الاحتياجات الخاصة"[2]، فالإستراتيجية إذن ثنائية النفع؛ فبالنسبة للمتعلم فهي تقرب المادة له وتساعده في فهمها وإدراكها، أما المعلم فتخدمة خدمة كبيرة بمنحه المرونة الكافية للتكيف مع المواقف التدريسية المختلفة؛ فيستطيع عندئذ أن يلائم المعلومة ويكيّفها لتناسب كل نوع من المتعلمين، و تلبي حاجاته الخاصة، فكل متعلم هو ذو احتياجات خاصة من نوع ما تختلف عن احتياجات غيره من المتعلمين.

والإستراتيجية أيضا توفر للمعلم آليات فاعلة تمكنه من تطويع ما يتوفر عليه من المركبات التعليمية (طرائق، ووسائل، ومناهج...) "لتحقيق المخرجات المرغوبة لدى الطلاب، والمعلم الناجح ما هو إلا إستراتيجية ناجحة"[3]، والعبارة الأخيرة تلخص مجمل القول في أهمية الإستراتيجة، فأساس نجاح المعلم هو نجاح الإستراتيجة التي يتبناها، وفشله ما هو إلا فشل لإستراتيجيته، فظهر من ذلك أن هنالك إستراتيجيات ناجحة وأخرى فاشلة، فكيف بمعلم لا يعتمد في تدرسيه أي إستراتيجية أصلا؟!

1 فراس السليتي، إستراتيجيات التعلم والتعليم، مرجع سابق، ص3.

2 نفسه، ص3.

3 نفسه، ص10.

المبحث الرابع

التمثيل

المطلب الأول: تعريفه:

أ–لغة:

التمثيل مصدر للفعل مثَّل، يمثِّل، تمثيلاً وتَمثالًا، وأصله من المادة المعجمية (م ث ل)، قال ابن فارس (ت 395هـ) في (مقاييس اللغة) "الميم والثاء واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على مناظرَة الشّيءِ للشيء. وهذا مِثْل هذا، أي نَظِيرُه، والمِثْل والمِثال في معنىً واحد. وربَّما قالوا مَثِيل كشبيه[...]والمَثَل المِثْل أيضاً كشَبَه وشِبْه. والمَثَلُ المضروبُ مأخوذٌ من هذا، لأنَّه يُذْكَر موَرَّىً به عن مِثلِه في المعنى"[1] فأصل مادة (م ث ل) إذن هو المشابهة بين شيئين، يكون أحدهما نظيرا للآخر، والمَثَل المعروف مأخوذ من ذلك لتماثل المعنى بين المضرب والمورد والتمثيل من ذلك أيضا، قال الجوهري في (الصحاح) "ومَثَّلْتُ له كذا تمثيلاً إذا صوَّرت له مِثالَه بالكتابَةِ وغيرها"[2]؛ فالتمثيل إذن يكون بضرب مثال لشيئ، سواء أكان ذلك بالكتابة أم بغيرها، في معان كثيرة ذكرها ابن منظور (ت 711هـ) في (لسان العرب) فقال «مِثْل: كلمةُ تَسْوِيَةٍ[...]والمِثْل الشِّبْه. يقال: مِثْل ومَثَل وشِبْه وشَبَه بمعنى واحد[...]والمَثَلُ: الحديثُ نفسُه[...]والمَثَلُ الشيء الذي يُضرَب لشيء مثلاً فيُجعَل مِثْلَه[...]قال الجوهري: ومَثَلُ الشيء أَيضاً صفته[...]ويقال: تمثَّل فلانٌ ضرب مَثَلاً، وتَمَثَّلَ بالشيء ضربه مَثَلاً[...]وقد يكون المَثَلُ بمعنى العِبْرَةِ[...]ويكون المَثَلُ بمعنى الآيةِ[...]والمِثالُ: المقدارُ وهو من الشِّبْه، والمثل: ما جُعل مِثالاً أَي مقداراً لغيره يُحْذَى عليه، والجمع المُثُل وثلاثة أَمْثِلةٍ، ومنه أَمْثِلةُ الأَفعال والأَسماء في باب التصريف...»[3]، و نلحظ من هذه المعاني اللغوية أن مادة (م ث ل) تخرج إلى معان كثيرة كالشبه والحجة، والحديث، والصفة، والمثل المضروب، والمقدار، والقصاص، والفراش، وقرب البرء، والتصوير والانتصاب، والتنكيل، والقَوَد، وغير ذلك.

والملحوظ أن كل هذه المعاني –على اختلاف استعمالاتها– ترجع إلى أصل واحد مشترك، هو التناظر والتشابه بين المُمَثَّل، والمُمَثَّل به؛ فمعنى القَوَد مثلا في قولنا (أمثل السلطان فلانا): قتله قَوَدًا: أي قصاصًا والمعنى أنه فعل به من القتل مثل ما كان فعله بالقتيل، ففيه معنى التماثل والتشابه[4].

---

1 أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، سورية، 1979، ج5، ص296.

2 الجوهري، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، لبنان، 1987، ج5، ص1816.

3 جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط3، لبنان، 1414هـ، ج11، ص610-611-612.

4 أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، مرجع سابق، ج5، ص296.

وكذا المَثل المعروف، ذو المضرب والمورد، نحو: (يداك أوكتا وفوك نفخ)، فيه معنى المماثلة «لأنه يذكر مورَّىً به عن مثله في المعنى»[1]، وعلى هذا تقاس بقية المعاني، ومن أجل ذلك جعل ابن فارس مقياس المادة (م ث ل) يدور حول معنى التناظر والتشابه.

ب–اصطلاحا:

التمثيل في الاصطلاح الذي عليه البحث هو: إيراد الأمثلة لأغراض مقصودة، فهو "استدلال بالأمثلة والأقوال"[2]، وأصله من المثال وهو "الجزئيُّ الذي يُذكَر لإيضاح القاعدة وإيصاله [كذا][3] إلى فهم المستفيد، كما يقال: الفاعل كذا، ومثاله زيدٌ، في (ضرب زيدٌ)"[4]، فالمثال هو الجزء من الكلام الذي يُذكَر بغية إيضاح قاعدة وتبيينها، لتكون أقرب إلى فهم المستفيدين، وأوصل إلى إدراك المتعلمين، وهذا مع كونه الغرض الأساس من ضرب الأمثلة فليس الغرض الوحيد، بل للأمثلة إستراتيجيات دقيقة عند من يحسن استثمارها.

ويُعرَّف المثال أيضا بأنه "ما يستدل به على القاعدة النحوية من جملة أو تركيب أو كلمة: فقولهم مثلا: أعجبني زيدٌ علمُه أو حسنُه أو كلامُه، مثال لبدل الاشتمال، وقولهم: جاء الجيش كله، أوجميعه مثال لاستعمالِ لفظيْ (كل) و (جميع) في تأكيد ما له أجزاء يصح وقوع بعضها موقعه فيؤتى بهما لرفع احتمال تقدير مضاف إلى متبوعهن، وكقولنا: (قال) مثال للفعل الأجوف و(ازدهى) مثال لإبدال التاء دالًا، والمثل كالمثال: كل منهما جزئيٌّ يؤتى به لتأييد قاعدة، ولا يشترط فيهما أن يكونا مما يحتج به من الكلام"[5]، والقول بأن المثال هو (ما يستدل به)، من باب الاستدلال التمثيلي لتأكيد قاعدة، لا من باب الاستدلال الابتدائي لإثبات القاعدة، إذْ هذا الأخير يسمى حينئذٍ استشهادا، وللشواهد أحكام زائدة عن الأمثلة كما سيأتي بيانه بعدُ إن شاء الله، وعلى هذا –أي على سبيل التمثيل لا الاستشهاد– يُحمل إيراد النحاة لبيت المتنبي في جواز حذف حرف النداء مع اسم الإشارة بقوله[الوافر]:

هَـذِي بَـرَزْتِ لَنَـا فَهِجْـتِ رَسِيسَـا ❋ ثُمَّ انْصَـرَفْتِ وَمَـا شَـفَيْتِ نَسِيسَـا

1 أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، مرجع سابق، ج5، ص296.

2 محمد اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1985، ص209.

3 ولعله تصحيف، تصحيحه: إيصالها، بالعود على القاعدة.

4 محمد التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1996، ج2، ص1447.

5 محمد اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مرجع سابق، ص208.

والمتنبي ليس بحجة حسب معيار الاحتجاج عند النحاة، ولهذا لحَّنه البصريّون، ولا ضرورة لذلك إذ البيت تمثيل وليس باحتجاج[1].

والأمر نفسه يُقال عن بيت أبي العلاء المعرّيّ (ت 449هـ) في جواز ذكر الخبر بعد لولا، وذلك في قوله[الوافر]:

يُـذِيبُ الرُّعْـبُ مِنْـهُ كُـلَّ عَضْـبٍ ❋ فَلَـوْلَا الغِمْـدُ يُمْسِـكُهُ لَسَـالَا

فالمعرّيُّ كذلك خارج نطاق الاحتجاج النحويّ، وعليه يحمل إيراد من أورد البيت من النحاة على التمثيل لا الاستشهاد[2]؛ إذِ الأخير محدَّد بشروط زمانية ومكانية مضبوطة، وذلك منتفٍ في حق المثال؛ إذ ليس الغرض منه التقعيد والتأصيل، بل الغاية الإيضاح والتمثيل.

ومن التمثيل قول ابن مالك[3]:

كَلَامُـنَا لَفْـظٌ مُفِيـدٌ كَاسْتَقِـمْ ❋ وَاسْـمٌ وَفِعْـلٌ ثُمَّ حَـرْفٌ الكَلِـمُ

و قوله[4]:

وَالرَّفْـعَ وَالنَّصْـبَ اجْعَلَـنْ إِعْـرَابَا ❋ لِاسْـمٍ وَفِعْـلٍ، نَحْـوُ (لَـنْ أَهَـابَا)

وقوله[5]:

مُـبْتَـدَأٌ زَيْـدٌ وَعَـاذِرٌ خَـبَـرْ ❋ إِنْ قُلْـتَ زَيْـدٌ عَـاذِرٌ مَـنِ اعْتَـذَرْ

والتمثيل على هذا المعني فرع عن (التشبيه) في علم البيان؛ لاشتراكهما في الصورة و الغرض فكل منهما يتطلب طرفين (مشبها و مشبها به)، ووجه شبه جامع بينهما، و أداة، والغرض الجامع بينهما بيان المشبه عن طريق المشبه به، و تقرير حاله؛ إذْ كان وجه الشبه في الأخير أقوى و أظهر[6]، وهنا أيضا محل الاختلاف؛ إذ وجه الشبه في التمثيل ليس من جنس وجه الشبه في التشبيه، فهو في الأول واحدٌ يفهم من السياق المنطقي العام للكلام، بخلاف التشبيه على اختلاف أنواعه فإن وجه الشبه يختلف باختلاف الصورة البيانية وتركيبها.

ولئن كان وجه الشبه في التشبيه جائزًا ذكرُه وحذفه، فهو في التمثيل واجب الحذف لأنه كون عام يدل عليه السياق، ويفهم من التركيب أن القصد تماثل الطرفين، فلا حاجة لذكره؛ إذِ العرب تستحب

1 ينظر: محمد اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مرجع سابق، ص208.

2 نفسه، ص208.

3 الألفية: 8.

4 الألفية: 23.

5 الألفية: 113.

6 ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، لبنان، د.ت، ص238.

الخفة في الكلام بالحذف "فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، و الصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة و تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، و أتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[1]، ومثال ذلك في قول ابن مالك: كلامنا لفظ مفيد كاستقم، فالمشبه (كلامنا)، والمشبه به (استقم)، والأداة (الكاف)، ووجه الشبه بينهما ظاهر في كون جملة (استقم) تماثل قول الناظم (كلامنا) و تبيِّنُه؛ فيصير التقدير: كل تركيب اشتمل لفظا أو أكثر مع حصول الإفادة = يعتبر كلاما عند النحاة، ويقدر كل كلام –على هذا الاصطلاح– بهذين الشرطين (اللفظ و الإفادة) ومن أمثلة التراكيب المستوفية الشرط قولنا (استقم)؛ فإنها جملة فعلية من فعل وفاعل مسترر تقديره (أنت) "وكأنه قال: كلام النحاة هو الكلام الموصوف بوصفين أحدهما الإفادة و الثاني التركيب المماثل لتركيب استقم"[2]، فجَعَل هذا المثالُ القاعدةَ في تركيب الكلام أكثرَ وضوحا بإخراجها من العقلي إلى الحسي، ومن التجريد إلى التجسيد؛ فالتمثيل نوع من التصوير للمُمَثَّل حتى كأنه شيئ منظور للعيان، قال ابن منظور "ومَثَّل له الشيءَ: صوَّره حتى كأَنه ينظر إِليه"[3] فالتركيب والإفادة معنيان معقولان، جِيئ بهما لبيان حد الكلام عند النحاة، وهو أيضا معنى عقلي مجرد ولتقريبه من أذهان المتعلمين ضُرِب مثالٌ حسِّيٌ وهو (استقم)، ليستعين المتعلم بالمحسوس على إدراك المجرد وبالمسموع على فهم المعقول.

1 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، مصر، د.ت، ص146.

2 بهاء الدين بن عقيل، شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث–دار مصر للطباعة،ط20، مصر، 1980، ج1، ص13.

3 جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج11، ص613.

-الفرق بين المِثَال والمَثَل:

تبيّن من التعريفات السابقة معنى المثال، وتبيّن أيضا أنه أصل، والمَثَل فرع منه، والجامع بينها معنى الشبه في كل منهما، فهل المَثَل والمثال بالمعنى نفسه؟ وما الفرق بينهما؟

أما المَثَل فهو في اللغة كما قال ابن منظور "الشَّيْءُ الَّذِي يُضرَب لِشَيْءٍ مَثَلًا فَيُجْعَلُ مِثْلَه، وَفِي الصِّحَاحِ: مَا يُضرَب بِهِ مِنَ الأَمْثال"[1] وهو المعنى المتبادر إلى الذهن عند ذكر المَثَل.

وفي الاصطلاح: قال الميداني (ت 518هـ) "قال المبرّد المثَل مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يُشبَّه به حال الثاني بالأوّل والأصل فيه التشبيه فقولهم مَثَلَ بين يديه إذا انتصب، معناه: أشبَهَ الصورةَ المنتصبةَ[...]فحقيقة المثل ما جعل كالعَلَم للتشبيه بحال الأول كقول كعب بن زهير[البسيط]:

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلاً ❋ وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الأَبَاطِيلُ

فمواعيد (عرقوب) عَلَم لكل ما لا يصح من المواعيد"[2]، ويستفاد من نقل الميداني أن المَثَل مشتق من المثال، إلا أنه أخص منه من وجوه ذكرها النظّام (ت 221هـ) بقوله: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة"[3] فالمثل يمتاز على المثال بأنه وجيز في لفظه وهو ما يسهّل تداوله وذيوعه، كما يمتاز بإصابة المعنى المطلوب بأخصر لفظ ودون تكلّف، ويتضمن المثل علاقة المشابهة بين مورده ومضربه، وهي العلاقة التي يعتمدها المتمثِّل في الربط بين الحادثة الأصل التي ضُرِب فيها المثل، والحادثة الفرع التي يورد فيها، وهو أيضا يتميّز بجودة الكناية وهي الغرابة التي يكتسيها المثل فتعطي له الصبغة الفنية، والبلاغة الأدبية، الأمر الذي يجعل المثل من أبلغ الكلام بل كما قال ابن المقفع (ت 142هـ) "إذا جُعِل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث"[4]، وقد يصير مثَلٌ ما مثالاً، وليس كل مثالٍ مثَلًا بالضرورة حتى يستوفي شروط المَثَل، التي منها أن يصير عَلَمًا على المعنى الذي ضُرِب له، قال اليوسي (ت 1102هـ) "المثَل هو قول يَرِدُ أوَّلًا لسبب خاص، ثم يتعداه إلى أشباهه فيُسْتَعْمَلُ فيها شائعًا ذائعًا على وجهِ تشبيهِها بالمورد الأوَّل"[5]، والسبب الخاص يقصد به المورد، وأما الاستعمال التشبيهيُّ فهو المضرب.

---

1 جمال الدين بن منظور ، لسان العرب، مرجع سابق، ج11، ص611.

2 الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المعاونية الثقافية، إيران، 1987، ج1، ص9.

3 نفسه، ص9.

4 نفسه، ص9.

5 الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، المغرب، 1981، ج1، ص21.

والمضرب: "الحالة المُشْبِهة التي أريدت من الكلام"[1]، والمورد "الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام"[2].

وقد يطلق المثَل ويُراد به بيان الصِّفة على قول كثير من أهل اللغة، قال أبو هلال العسكري (ت 395هـ) "والمثَل بالتحريك الصفة، قال الله تعالى ﴿مَثَلُ الجَنَّةِ التِي وُعِدَ المتَّقونَ﴾[الرعد:35] أي:صفة الجنة وقولك:ضربت لفلان مثلًا معناه : أنك وصفت له شيئا، وقولك:مثل هذا كمثل هذا أي:صفته كصفته، وقال الله تعالى ﴿كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[الجمعة:5] وحاملوا التوراة لا يماثلون الحمار، ولكن جمَعَهم وإياه صفة فاشتركوا فيها"[3]، وهذا المعنى داخل أيضا في معنى المثال؛ وذلك لجامع المشابهة التي اقتضت التشارك في أصل الصفة وهي وجه الشبه على اصطلاح أهل البيان.

وذكر ابن منظور الاعتراض على هذا القول "قال ابن سيده: وقوله عز من قائل: ﴿مَثَلُ الجنَّةِ التي وُعِدَ المتَّقون﴾[الرعد:35]؛ قال الليث: مَثَلُها هو الخبر عنها، وقال أَبو إِسحق: معناه صِفة الجنة، وردّ ذلك أَبو علي [الفارسي]، قال: لأَن المَثَلَ الصفة غير معروف في كلام العرب، إِنما معناه التَّمْثِيل[...]قال أَبو منصور: وللنحويين في قوله: ﴿مَثَلُ الجنَّةِ التي وُعِدَ المتَّقون﴾[الرعد:35]، قولٌ آخر قاله محمد بن يزيد الثمالي في كتاب المقتضب، قال: التقدير فيما يتلى عليكم مَثَلُ الجنة ثم فيها وفيها قال: ومَنْ قال إِن معناه صِفةُ الجنةِ فقد أَخطأَ لأَن مَثَل لا يوضع في موضع صفة، إِنما يقال صفة زيد إِنه ظَرِيفٌ وإِنه عاقلٌ"[4]، وعلى هذا تصير الأمثال المذكورة في القرآن العظيم من باب التمثيل، فيكون إذن هذا الباب متسعا جدًّا، ويصير تطلُّبُ الإحاطة به شيئا إدًّا.

لكن في ما ذكر الكفاية إن شاء الله ليستبين الفرق بين المثال والمثَل.

1 شمس الدين ابن القيم، الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق سعيد الخطيب، دار المعرفة، لبنان، 1981، ص19.

2 نفسه، ص19.

3 أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق محمد سليم، دار العلم والثقافة، مصر، 1997، ص154.

4 جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج11، ص612.

-الفرق بين المثال والشاهد:

نظرا للعلاقة الوطيدة بين المثال والشاهد، وكثرة اللبس الواقع في التفريق بينهما، فقد توهّم بعضهم أنهما مترادفان، ولذا وجب التعرّض لبيان الفرق، وتحقيق ما في المسألة من الحق.

أما الشاهد لغة، فهو اسم فاعل من الفعل شهد، وأصله من المادة المعجمية (ش ه د)، والتي تدل على الحضور، والعلم والإعلام، قال ابن فارس "الشين والهاء والدال أصلٌ يدلُّ على حضور وعلم وإعلام، لا يخرُج شيءٌ من فروعه عن الذي ذكرناه. من ذلك الشَّهادة، يجمع الأصولَ التي ذكرناها من الحضور والعلم، والإعلام. يقال شَهد يشهد شهادةً"[1].

أما في الاصطلاح فقد عرفه التهانوي (ت بعد 1158هـ) بأنه "الجزئيُّ الذي يستشهد به في إثبات القاعدة لكون ذلك الجزئي من التنزيل أو من كلام العرب الموثوق بعربيتهم وهو أخص من المثال"[2]، وقيل في تعريفه أيضا أنه "قول عربيٌّ لقائل موثوق بعربيته يورد للاحتجاج والاستدلال به على قول أو رأي"[3]. ويؤخذ من هذين التعريفين أن الشاهد له شروط ليُعتَدَّ به، ومن هذه الشروط أن يكون من القرآن الكريم، أو من الحديث الشريف، أو من كلام العرب الموثوق بعربيتهم، وهم الذين استجمعوا شروط الفصاحة المكانية والزمانية حسب المعايير التي بيّنها النحاة، والذي أعطى للشاهد أهميّته هو كونُه دليلَ النحاة في استخلاص القواعد وإثباتها، فلكي تصحَّ قاعدةٌ نحويةٌ يجب أن يكون الشاهد عليها صحيحًا فصيحًا، مستجمعًا شروطَ الاستشهاد، ومستلزمات الاحتجاج وإلا كان ذلك مطعنا في القاعدة أو الحكم كما هو ظاهر في كثير من نزاعات البصريين والكوفيين؛ إذْ كثيرا ما يحتج بعضهم على بعض بضعف الشاهد، وعدم قيامه للاحتجاج؛ إما بجهالة قائله، أو تحريف عبارته، أوتعدد رواياته، وغير ذلك مما مآله إسقاط قاعدة الخصم، وإثبات أخرى بدلها[4].

وأما المثال فقد سبق بيان أنه "الجزئيُّ الذي يُذكَر لإيضاح القاعدة وإيصاله إلى فهم المستفيد"[5] فيظهر من ذلك عدة فروق تميّز المثال عن الشاهد، ومنها:

-أن المثال أعم من الشاهد؛ "فالعمومية بالنظر إلى ذاتيهما فإن كل ما يصلح شاهدا يصلح مثالا بدون العكس، وكذا بالنظر إلى الغرض المعتبر في تعريفهما فإن كل شيئ يصلح للإثبات يصلح للإيضاح بدون

1 أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، مرجع سابق، ج3، ص221.

2 التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مرجع سابق، ج1/ص1002.

3 محمد اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مرجع سابق، ص119.

4 ينظر: محمد خان، مدخل إلى أصول النحو، دار الهدى، الجزائر، 2003، ص26-32.

5 التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مرجع سابق، ج2/ص1447.

العكس"[1]، فالمثال أعم من الشاهد من جهة نفسه، ومن جهة غرضه؛ إذِ الإثبات معنى زائد عن مجرد الإيضاح، وهو فوق ذلك مستلزم له.

-أن المثال يفيد إيضاح القاعدة، بينما الشاهد يفيد إثباتها أصلًا، وهذا واضح من تعريف كل منهما.

-أن المثال لا يشترط فيها الخضوع لضوابط الاحتجاج، بيد أن الشاهد يشترط فيه ذلك.

-أن ليس كل مثال يصلح شاهدًا، أما العكس فصحيح؛ إذ كل شاهد يصلح مثالًا.

-أن الأمثلة أكثر عددا، وهذا ينبني على ما قبله، إذ المحدود بشروط يكون أقل ممن لا شرط يحدُّه.

-أن المثال يكفي فيه احتمال الدلالة، في حين أن الشاهد يشترط فيه النص على ما جُعِل شاهدًا له[2].

1 التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مرجع سابق، ج2/ص1447.

2 ينظر: نفسه، ج2/ص1447.

المطلب الثاني: بلاغة التمثيل:

تبيَّن مما سبق أن التمثيل عقدُ تناظر بين طرفين، يُراد تقرير أحدهما بالآخر لكونه أوضح وأبين غير أن التمثيل –في الغالب– يكتفي بأدنى درجات البلاغة والتصوير الفني، فالهدف الأساس منه ليس المتعة الأدبية، أو اللذة الفنية، بل هدفه التقرير و التوضيح، فيسلك لذلك أقرب السبل و أقصرها وأيسر الطرق و أوضحها في سبيل بيان المشبه، لذلك لا يكون –في الغالب– للتمثيلات الموظفة أثر للبلاغة وذلك "لظهور المشابهة وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة وجهد أدبي، ولخلوها من الخيال وهذا الضرب من التشبيه يقصد به البيان و الإيضاح و تقريب الشيء إلى الأفهام، وأكثر ما يستعمل في العلوم والفنون"[1].

هذا وإن لم يكن للتمثيل بلاغة في نفسه –في الغالب– نظرا لوظيفته البيانية في الخطاب، فإنه كثيرا ما يكتسب السمة البلاغية بعناصر خارجة عنه وذلك أساسًا بنوعية الأمثلة الموظفة، فيكتسب الأثر البلاغي بكونه تضمينًا أو اقتباسًا على قانون علم البديع في البلاغة، والاقتباس "هو أن يضمن المتكلم منثوره أو منظومه شيئا من القرآن أو الحديث على وجه لا يشعر بأنه منهما"[2]، فالاقتباس إذن خاص بالمنقول من القرآن الكريم أو الحديث الشريف، لعلو مقامهما عن سائر القول، وأما ما كان دونهما فالنقل منه يسمى تضمينا وهو "أن يضمن الشاعر كلامه شعرا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا لدى نقاد الشعر وذوي اللَّسَن"[3]، وفي هذا التعريف احتراز على كون شهرة القول المُضَمَّن أمرًا نسبيًا، لذا فالمعوَّل عليهم في هذا الشأن هم نقاد الشِّعر واللَّسنون من ذوي العلم باللسان العربي بمختلف ضروبه و شعابه.

ومن هذا القبيل –قبيل الاقتباس– عند ابن مالك ما نجده في غير موضع من ألفيته، ومن ذلك قوله[4]:

وَالنَّصْبُ بَعْدَ مَا أُضِيفَ وَجَبَا ❋ إِنْ كَانَ مِثْلَ {مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبَا}

وهذا تضمين لقوله تعالى في سورة آل عمران ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾[آل عمران:91].

1 علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، مصر، د.ت، ص65-66.

2 أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، مرجع سابق، 338.

3 نفسه، ص340.

4 الألفية: 359.

وقوله أيضا[1]:

وَمَـــا لِتَفْصِـــيلٍ كَـــ{إِمَّا مَنًّـــا} ❋ عَامِلُـــهُ يُحْـــذَفُ حَيْـــثُ عَنَّـــا

وفيه اقتباس لقوله تعالى في سورة محمد ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾[محمد:4].

أما التضمين ففي مثل قوله[2]:

وَقَـــــــــلَّ أَنْ يَـصْحَبَـــهُ الـمُجَـرَّدُ ❋ وَالعَكْـسُ فِي مَصْـحُوبِ (أَلْ) وَأَنْشَـدُوا

لَا أَقْعُـدُ الجُـــبْنَ عَـــنِ الـهَيْـجَـــاءِ ❋ وَلَـــوْ تَـوَالَـــتْ زُمَـــرُ الأَعْـــدَاءِ

ولم يضمِّن ابن مالك بيتا كاملا من شعر غيره كشواهد إلا هذا البيت[3]، ولا يُعرف قائله "لكن الناظم حجة، وقد حفظه وسمعه، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ"[4].

ومن التضمين أيضا قوله في باب المعرَّف بأداة التعريف[5]:

وَلِاضْـطِـــرَارٍ، كَـ(بَنَـــاتِ الأَوْبَـــرِ) ❋ كَـذَا (وَطِبْتَ النَّفْسَ يَا قَـيْسُ السَّرِي)

وهو بعض قول راشد بن شهاب اليشكري[الطويل][6]:

رَأَيْتَـــكَ لَـــمَّا أَنْ عَـــرَفْتَ وُجُوهَنَـــا ❋ صَدَدْتَ وَطِبْتَ النَّفْسَ يَاقَيْسُ عَنْ عَمْرِو

هذا، وكل ما سبق هو على اعتبار التمثيل بمعناه التعليمي الخاص، وإلا فللتمثيل بمعناه العلمي العام نواح بلاغية أخرى كثيرة، وقد تقدم في هذا قول النظام: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة"[7].

فالحاصل أن التمثيل في الأصل لا يهدف لخلق المتعة الأدبية عند المخاطَب، ولا يتقصَّد ذلك ابتداءً؛ إذ الغاية الأساس توضيح القاعدة النحوية وتيسير فهمها، إلا أن ذلك لا يمنع توشيح الأمثلة بألوان من آليَّات الصنعة البلاغيّة لتكون الاستفادة أكبر، والانتفاع أكثر.

---

1 الألفية:293.

2 الألفية: 301، 302.

3 ينظر: سليمان العيوني، ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ص107-108 (حاشية 302).

4 عبد الله الفوزان، دليل السالك، مرجع سابق، ج1 /ص410

5 الألفية: 108.

6 المفضل الضبي، المفضليات، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، ط6، مصر، د.ت، ص310.

7 الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مرجع سابق، ص9.

المطلب الثالث: أهمية التمثيل:

يكتسي التمثيل أهمية كبيرة في الخطاب بصورة عامة والخطاب التعليمي بصورة خاصة، وذلك لما له من الأثر الذي لا يخفى في إيضاح ما أُبهم من الكلمات، وتبيين من أشكل من الألفاظ والعبارات.

ونظرا لهذه الأهمية فقد كان التمثيل بابًا مطروقا في أرقى الاستعمالات الخطابية بدءًا من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وانتهاءً بالراقي من كلام العرب الفصحاء، شعره ونثره.

فمن أمثلة استعمال التمثيل في القرآن الكريم: قوله تعالى ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾[البقرة:17]، قال أبو السعود (ت 982هـ) في تفسيره: "{مّثْلُهُمْ} زيادة كشف لحالهم وتصوير لها غِبَّ تصويرِها بصورة ما يؤدي إلى الخسار بحسب المآل بصورة ما يفضي إلى الخَسار من حيث النفسُ، تهويلاً لها وإبانةً لفظاعتها فإن التمثيلَ ألطفُ ذريعةٍ إلى تسخير الوهم للعقل واستنزالِه من مقام الاستعصاء عليه، وأقوى وسيلةٍ إلى تفهيم الجاهل الغبي، وقمع سورة الجامع الآبي كيف لا وهو رفعُ الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وإبرازٌ لها في معرض المحسوسات الجلية، وإبداءٌ للمنكر في صورة المعروف، وإظهارٌ للوحشي في هيئة المألوف"[1]، و هذه من جملة فوائد التمثيل وبلاغته، مما جعله أحد أفضل الوسائل التعليمية، ولهذا كثر استعماله في القرآن الكريم، وقد أُلِّفت في بيان ذلك الأسفار، والكتب الكبار، فبين مستقل ومستكثر ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: جمهرة الأمثال للعسكري (ت 395هـ)، ومجمع الأمثال للميداني (518هـ) والمستقصى للزمخشري (538هـ) وغيرهم كثير.

وفي الحديث النبويّ جملة غير قليلة من هذا الباب، حتى أن الترمذي (ت 279هـ) خصها بأبواب في سننه[2]، وقد خُصَّت هي الأخرى بكتابات غير قليلة ككتاب الأمثال السائرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي عروبة الحرَّاني (318هـ)، وكتاب أمثال الحديث لعبد المجيد محمود (معاصر) وغيرهما.

وما العناية في الوحيين بضرب الأمثال إلا دليل على فضل هذا الباب وأهميته؛ إذا هو وسيلة مثلى "لتقريب المراد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به فقد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره.

---

1 أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د.ت، ج1، ص50.

2 ينظر: الترمذي، الجامع الكبير-سنن الترمذي، تحقيق بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ج4/ص441 وما بعدها.

فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير"[1]، ففضلا عما ذكر من قبل في شرف التمثيل، ففيه أمر يتعلَّق بطبيعة النفس؛ فهي تأنس بالشبيه والنظير، ما لا تأنس لما ليس فيه ذلك، وفي هذا المعنى يقول ابن القيم (ت 751هـ) "ففي الأمثال مِنْ تَأَنُّسِ النفس وسرعةِ قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق = أمرٌ لا يجحده أحد ولا ينكره، وكلما ظهرت الأمثال ازداد المعنى ظهورا ووضوحا، فالأمثال شواهد المعنى المراد، وهي خاصية العقل ولبُّه وثمرته"[2]، فظهور الأمثال مطلوب لأن خاصيَّتها الإيضاح، والمُبهَم في نفسه لا يصلح أن يُجعل موضِّحا لغيره.

ومن الأحاديث النبويّة في باب التمثيل حديث النعمان بن بشير –رضي الله عنه– قال : "سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول :إنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُما أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وعِرْضِهِ، ومَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ وإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وهِيَ الْقَلْبُ"[3]، و في هذا الحديث يظهر "حسن تعليم النبي صلى الله عليه و سلم، و ذلك بضرب الأمثال المحسوسة لتتبين بها المعاني المعقولة، و هذه هي طريقة القرآن الكريم، قال الله تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[العنكبوت:43]، فمن حسن التعليم أن المعلم يقرب الأشياء المعقولة بالأشياء المحسوسة"[4]، وتقريب المعقولات بالمحسوسات أحد أساليب التمثيل وأغراضه، والتمثيل من حسن التعليم إذا أُحسِن استغلاله، قال ابن عثيمين "بالحكم تتقرر القاعدة، وبالمثال تتضح القاعدة وهذا من حسن التعليم، أن الإنسان إذا أتى بالأحكام يعقبها بالأمثلة، حتى ترسخ الأحكام في ذهن الإنسان، لاسيَّما الأشياء التي يصعب فهمها، فإن بضرب الأمثال تعقل المعاني"[5].

وهذا واحدٌ من مقاصد التمثيل، وإلا فللتمثيل إستراتيجيات أخرى كثيرة، نتبين جملة منها في الفصل التطبيقي إن شاء الله.

1 شمس الدين ابن القيم، الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق سعيد الخطيب، مرجع سابق، ص22.

2 شمس الدين ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق مشهور آل سلمان، دار ابن الجوزي، 1423هـ، ج2/ص425.

3 البخاري، صحيح البخاري، تحقيق محمد الناصر، دار طوق النجاة، لبنان، 1422هـ، ج1، ص20، (كتاب الإيمان، فضل من استبرأ لدينه: 52).

4 محمد بن صالح العثيمين، شرح الأربعين النووية، دار الثريا، ط3، السعودية، 2004، ص131.

5 محمد بن صالح العثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مكتبة الرشد، السعودية، 1434هـ، ج3، ص233.

الفصل التطبيقي

دراسة الإستراتيجيات التمثيلية: وفيه:

- تمهيد
- الإستراتيجية المنهجية.
- الإستراتيجية التربوية.
- الإستراتيجية السلوكية.
- الإستراتيجية الخلقية.
- الإستراتيجية العقدية.
- الإستراتيجية الفكرية.
- الإستراتيجية الأدبية.
- الإستراتيجية الفقهية.
- الإستراتيجية النفسية.
- الإستراتيجية الكلية.

تمهيد:

تطرقنا في الفصل النظري لمبحث التمثيل، وعرَفنا أهميّته، وأن لتوظيفه إستراتيجيات يمكن استثمارها في مجالات كثيرة، وهذا أوان الشروع في بيان هذه الإستراتيجيّات عند ابن مالك –رحمه الله– من خلال ألفيته.

هذا، وتجدر الإشارة إلى أن أكثر المستعملين للتمثيل في العلوم عامة وفي النحو خاصّة، يكتفون بالحد الأدنى من وظائف التمثيل، وهو الإيضاح والتبيين للقاعدة أو الفكرة، فلا يتكلّفون حينئذ عناء تخيُّر الأمثلة وانتقائها، بل كثير منهم لا يتحرَّج من ضرب أي مثال يخطر بباله، دون اهتمام لقيمة ما يمثل به ودون اعتبار للأبعاد الثقافية، والسلوكية، والمعرفية، والمنهجية للأمثلة التي يوظّفها، ولعل ذلك على اعتبار أنه (لا مشاحَّة في المثال)، يقول الأمين الشنقيطي (ت1393هـ) "واعلم أن القاعدة المقررة في الأصول أن المثال لا يُعتَرض؛ لأن المراد منه إيضاح معنى القاعدة"[1]، وهذا دليل على أن النظرة الغالبة للتمثيل هي على أنه وسيلة إيضاح لا غير، ولا ينبغي حينئذ الإنكار على من مثَّل بمثال لا يراه غيره مناسبًا والأمر كذلك، فليس الغرض من هذا البحث إعلان النكير على هذا الأمر بقدر ما هو تسليط للضوء على جوانب إستراتيجية في التوظيف التمثيلي، يمكن للممثِّل استثمارها للوصول إلى غايات محمودة في ميدان التربية والتعليم، فالأمر إذن (كلزوم ما لا يلزم) في البديع، و (كحسن قضاء الدين) في التشريع كلاهما –في الأصل– لا يَلزَم صاحبَهُ، لكن ﴿مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾[البقرة:184].

وقد تنبّه بعض أهل التدقيق إلى أهمية انتقاء الأمثلة، وتخيُّرها، قال مؤلفا كتاب (النحو الواضح في قواعد اللغة العربية للمدارس الابتدائية):"فقد أكثرنا من الأمثلة التي تستنبط منها القواعد، على طراز حديث لم يسبق له مثال، فاخترناها سهلة مفهومة، مقصورة في الغالب الكثير على ما يراد منها. ضاربة في جهات شتى من نواحي الحياة الطفلية، مناسبة لبيئة النشء الصغار وغرائزهم، شائقة جذابة لنفوسهم"[2]، فهذا من معايير التوظيف الإستراتيجيّ للأمثلة، بأن تكون موردًا لاستنباط القواعد لا مجرّد وسيلة توضيح لها وأن تكون سهلة للفهم، قريبة للذهن، منفتحة على مجالات الحياة المتنوعة، موافقة لفئة المتعلمين المخاطبين نفسيا ومعرفيا.

1 محمد الأمين الشنقيطي، مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر، إشراف بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، السعودية، 1426هـ، ص133.

2 علي الجارم ومصطفى أمين، النحو الواضح في قواعد اللغة العربية للمرحلة الابتدائية، دار المعارف، مصر، د.ت، ص4.

وإن عنى ذلك العدول عن التمثيل بجيد الكلام العربي القديم من شعر أو نثر "لأن إدراك معاني هذه الآثار الجليلة فوق متناول صغار التلاميذ، بعيد عن دائرة حياتهم الصغيرة"[1]، فلئن كان هذا سائغا في حق صغار التلاميذ، فما المسوّغ في حق كبارهم ؟!

فلازلنا ونحن في الجامعة نسمع عن أمثلة من نحو (ضرب زيد عمرًا)، (يحرس الكلب الأمين البيت) و(أكل عمر التفاحة)، وغيرها من الأمثلة التي إن كان مثلها يستجاز في مراحل سابقة، فكيف يستجاز في مرحلة التخصص الجامعي؟!

وهذا الداء ليس بحديث، بل هو قديم، لكن الظاهر أنه لم يُستَطع عليه سبيل لنقده، فضلا عن مداواته ومما يدل على ذلك ما كان من الحادثة الطريفة بين داود باشا –أحد وزراء تركيا في العهد القديم– والمثال المشهور (ضرب زيد عمرا)؛ إذ طلب الوزير علم النحو على أحد شيوخه دهرا، وفي أحد الأيام سأل شيخه عن سبب ضرب زيد لعمرو، وعجزِ عمرو عن الدفاع عن نفسه، فأجابه الشيخ بأنْ ليس ثمة ضارب ولا مضروب، وأنه مجرد مثال مصنوع قصد الإيضاح لا غير، فلم يُعجب الجوابُ الأميرَ وأكبر أن يجهل الشيخ الجواب عن هذه القضية، فحنق عليه وسجنه، وأنشأ يأتي بالنحاة واحدًا واحدًا يمتحنهم بهذه المسألة، فكان جزاؤهم جزاء الأوّل! ثم إنه استوفد علماء بغداد لهذا الشأن، وكان منهم فاضل في العلم نابه لملابسات الأمر، فلما سأله الوزير عن المسألة، أجابه بأن السبب وراء ضرب زيد لعمرو هو سرقته لـ(واو) اسم الوزير (وكان اسمه داود) –يعني بذلك حذف الواو في داود وزيادتها في عمرو– فسلط عليه النحاة زيدا يضربه جزاء فعلته الشنيعة هذه، فأُعجب الوزير بالجواب أيما إعجاب وأثنى على ذلك العالم الذي كانت بديهته ودهاؤه سببا في إنقاذه هو ومن سُجِن من النحاة قبله، بل فوزهم بجوائز الوزير وصلاته[2]، فهذه القصة على طرافتها فإنها تحمل معاني عميقة لواقع أمثلة عقيمة سيطرت ولاتزال على جانب مهم من جوانب تعليم النحو، فلإن مكَّنت الوزيرَ مكانتُه ليسأل عن حقيقة هذا المثال، فواقع أكثر المتعلمين لا يسمح بذلك، ولإن وجد الوزير لهذا الإشكال حلًّا فإن غيره قد لا يجده، فلا تزال مثل هذه الأمثلة تعتمل في ذهن المتعلم –الناشئ خاصة– حتى زعم بعضهم أنها من بذور زرع العنف والإرهاب في ذهنية المتعلم؛ فهو لا ينفك يطرق سمعه أفعال الضرب والقتل، وهي وإن كان ظاهرها التمثيل فالعقل اللاواعي قد لا يدركها كذلك[3].

---

1 علي الجارم ومصطفى أمين، النحو الواضح في قواعد اللغة العربية للمرحلة الابتدائية، مرجع سابق، ص5.

2 ينظر: مصطفى المنفلوطي، مؤلفات مصطفى لطفي المنفلوطي الكاملة – النظرات والعبرات، دار الجيل، لبنان، 1984، ص261.

3 توفيق قريرة، لماذا «ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا» قرونا؟، موقع القدس العربي، تصفح بتاريخ 15-04-2018، http://www.alquds.co.uk/?p=496078

وفي السياق نفسه أورد الصفُّوري (ت 894هـ) في كتابه (نزهة المجالس ومنتخب النفائس) قصة من أَضْرَبَ عن تعلم النحو بسبب ضَرْبِ زيد لعمرٍو! قال: "وجلس الشبليُّ عند رجل يتعلم منه النحو فقال: قل ضرب زيدٌ عمرًا، فقال الشبلي: أَضَرَبَهُ حقيقةً ؟ قال: لا، وإنما هو مثال، فقال: علم أوَّلُه كذب لا أتعلمه"[1]، ومثلها روي عن بشر الحافي (ت 227هـ) " لما قيل له: تعلم النحو قال: أَضِلُّ قال: قل ضرب زيد عمرًا قال بشر: يا أخي لم ضربه؟ قال: يا أبا نصر! ما ضربه وإنما هذا أصل وضع. فقال بشر: هذا أوله كذب، لا حاجة لي فيه"[2] وهذه الحجة وإن كانت أوهى من بيت العنكبوت، إلا أنها مازالت رائجة عند بعضهم، قال ابن عثيمين "العلماء الذين كتبوا هذه الأمثلة، لم يريدوا الضرب حقيقة إنما أرادوا المثال، لكن ينبغي أن نعدل عن (ضرب زيد عمرًا) وما أشبه ذلك، إلا عند الضرورة، وإذا أمكن أن نمثل بكلمات مفيدة كقول ابن مالك –رحمه الله– (الله برٌّ والأيادي شاهدةٌ) هذا كلام مفيد وكصاحب (قطر الندى) ابن هشام، كان لا يمثل إلا من القرآن إلا عند الضرورة، فهذا خير"[3]، فمن عدل إلى مثل هذه الأمثلة الركيكة من غير ضرورة فيخشى أن يكون قد استبدل ﴿الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالذِي هُوَ خَيْرٌ﴾[البقرة:61]، والله المستعانُ.

وقد يتعلل البعض بأسبابَ نفسيةٍ جعلت المثال المشهور (ضرب زيد عمرًا) طرازًا تمثيليا لاستيفائه ثلاثة شروط على الأقل، وهي أنه: "أوّلا فعل محسوس والمحسوس مُدْرَكٌ عندنا قبل المجرّد؛ وهي ثانيا فعل قابل أن يربط علاقة بين كَيَانَيْن والعلاقة طرازها أن تكون بين اثنين؛ وهي ثالثا أفعال تحدث من غير واسطة خارجية"[4]، فهذه العناصر الإدراكية الثلاثة تجعل من هذا المثال طرازًا أي: (أحسن الأمثلة التي تعبر عن مقولتها)، على اصطلاح أصحاب الاتجاه العرفاني الذي ينطلق من مبدأ أن اللغة نشاط ذهني يعالجه الذهن كباقي الأنشطة اليومية[5]، وهذا كله صحيح لكنه ليس على إطلاقه؛ إذ يوجد كثير من الأمثلة المستوفية هذه الشروط الثلاثة وهي مع ذلك ذات معانٍ حسنة، من نحو: قرأَ محمدٌ كتابًا، بنى عثمانُ مسجدًا، صلَّى عمرُ التراويحَ، وغير هذا كثير.

فهذه الأمثلة ذات معان محسوسة (القراءة، البناء، الصلاة)، وهي ثنائية العلاقة (محمد والكتاب عثمان والمسجد، عمر والتراويح)، وهي عديمة الواسطة الخارجية، فالأمر ليس مستحيلا ليزول "الاعتماد على البنيات التركيبية التي انحصر استعمالها في لغة القدماء دون المحدثين، حيث تقدم القواعد النحوية من

1 الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق عبد الوارث علي، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ت، ج1، ص191.

2 بكر أبو زيد، حلية طالب العلم، دار العاصمة، السعودية، 1416هـ، ص201.

3 محمد بن صالح بن عثيمين، شرح حلية طالب العلم، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، السعودية، 1434هـ، ص312.

4 توفيق قريرة، لماذا «ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا» قرونا؟، موقع القدس العربي، مرجع سابق.

5 نفسه.

خلال جمل معزولة عن سياقاتها الاستعمالية تسبقها نصوص تمهيدية ليست نصوصا واقعية، وإنما هي نصوص مصنوعة بهدف تقديم أمثلة عن موضوع الدرس بعيدا عن الاستعمال الوظيفي للقاعدة في اللغة الحياتية والاجتماعية"[1]، فلا يجب أن يكون هوس الإيضاح سببا في إغفال الجانب الوظيفي للأمثلة فهي حمَّالة شحنات فكرية وعقدية وثقافية وسلوكية ومنهجية، يمكن استثمارها إلى جانب المقصد الإيضاحي، إذ "يستحسن أن تكون الأمثلة من الكتاب والسنة ومن العبارات المستعملة بين العلماء"[2] لجمعها بين الإيضاح وغيره من المقاصد الشريفة، والأغراض المنيفة، التي تسهم إسهاما كبيرا في بناء ذهنية المتعلم من نواح كثيرة، فالنحو "لا يراد لذاته، وإنما يراد لفهم الكتاب والسنة"[3]، فإذا لم يستطع المتعلم ربط ما يتعلمه من القواعد النحوية بالمقصد الأوَّل وهو فهم الكتاب والسنة، فأي فائدة في تعلمه إذن؟ فإن قيل: الاستعمالُ الفصيح في الخطاب المتداول، فالواقع شاهد بأن العامية هي المهيمنة على الخطاب المتداول، فلم يبق إلا قاعات الدرس، وهي الأخرى قد استشرت فيها العامية، حتى أصبح النحو العربيّ يدرَّس بالكلام العاميّ!!

فالحاصل أن التمثيل بالكتاب والسنة، مما يحسن اعتماده في تدريس النحو؛ إذ هو عَوْدٌ بالنحو إلى البيئة الطبيعية التي نشأ منها وفيها، وهو ما تنبّه إليه بعض أهل العلم الشرعيّ حتى جعله معيارا لتمايز بعض الكتب عن بعض، ومنهم مقبل الوادعيُّ (ت 1422هـ) في تقريظه لشرح تلميذه سالم المهذري للآجرومية، إذ قال "وفرق كبير بين أمثلته وأمثلة محيي الدين صاحب التحفة: هذا يمثل بآية قرآنية أو حكمة، وذاك يمثل بأي مثال يخطر في نفسه"[4].

وبيان ذلك في باب الأفعال مثلا؛ إذ يقول صاحب التحفة السنيّة "ينقسم الفعل إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: الفعل الماضي [...] نحو: ضَرَبَ، ونَصَرَ، وفَتَحَ، وعَلِمَ، وحَسِبَ، وكَرُمَ، والقسم الثاني المضارع [...] نحو: يَضْرِبُ، ويَنْصُرُ، ويَفْتَحُ، ويَعْلَمُ، ويَحْسَبُ، ويَكْرُمُ.

القسم الثالث الأمر [...] نحو: اضْرِبْ، وانْصُرْ، وافْتَحْ، واعْلَمْ، واحْسِبْ، واكْرُمْ"[5]، ويقول المهذري في الباب نفسه "ينقسم الفعل من حيث الزمن إلى ثلاثة أقسام: ماض ومضارع وأمر، ويجمعها مرتبة قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[يس:82]، فالماضي قوله (أراد)، والمضارع

1 زين الدين بن موسى، طرائق تعليم النحو العربي بين القديم والحديث، مجلة العلوم الإنسانية، عدد36، ديسمبر 2011، ص52.

2 أحمد سالم، السبل المرضية لطلب العلوم الشرعية، مركز تفكر للبحوث والدراسات، مصر، 2016، ص162.

3 نفسه، ص162.

4 سالم المهذري، الممتع في شرح الآجرومية، مكتبة صنعاء الأثرية، اليمن، 2004، ص3.

5 محيي الدين عبد الحميد، التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2007، ص70.

(يقول)، والأمر (كن)"[1]، ولعل صاحب التحفة قصد لتلك الأمثلة من باب أنها أصول تصريف الفعل الماضي، فأراد أن يجمع إلى القاعدة النحوية فائدة صرفية، لكن هل هذا أنسب موضع لذلك؟ وهل من الجيد إيراد مسائل الصرف لمبتدئ في النحو؟ ثم هل سيتفطن المتعلم المبتدئ للمراد من هذا الإيراد وحدَه؟ فإن قلنا إنَّ ذلك ممتنع إلا بشرح المعلم، فصار هذا حشوا وإدخالا لعلم على علم، وإن قلنا يتفطّن له فهذا قليل شاذ في المبتدئين، والشاذُّ يحفظ ولا يقاس عليه، وفضلا عن ذلك فهذه الأوزان كلها سماعية، فلا قياس لها، مما يقلل من أهميّة الإفاضة في شرحها في الدرس الصرفي التطبيقي خاصة، فضلا عن إيرادها في الدرس النحوي[2].

فالحاصل: أن التمثيل بالأمثلة الحسنة المستقاة من القرآن الكريم، أو السنة النبوية، أو جيد الكلام العربي شعرًا ونثرًا، مما يحسن استثماره في تدريس النحو، لما في ذلك من الفوائد التي تعود على المتعلم: كتهذيب ملكته، وإثراء معجمه، وتقويم سلوكه، وربطه بالشرع... فكل ذلك من الاستعمالات الإستراتيجية للتمثيل، ومن هذا المنطلق جاءت الإستراتيجيات المدروسة في هذا البحث، موسومة بالمقصد الأساس الذي تتضمنه كل إستراتيجية، منسوبة إليه على سبيل الوضع الاصطلاحي، الذي اجتهد الطالب في جعله مناسبًا للمقصود، موفيًا بالمطلوب، وهذه الإستراتيجيات هي:

-الإستراتيجية المنهجية: وتختص بالأمثلة الموظفة في أغراض منهجية؛ كبيان الحدود، والقيود، والشروط..

-الإستراتيجية التربوية: وتهتم بالأمثلة الموجهة للتنبيه على القيم التربوية الراقية.

-الإستراتيجية السلوكية: وتدرس الأمثلة المتضمنة إشاراتٍ للقيم السلوكية الرفيعة.

-الإستراتيجية الخلقية: وتهتم بالأخلاق الرفيعة التي أشار إليها الناظم.

-الإستراتيجية العقدية: وتختص ببيان المعاني العقدية التي ضمنها الناظم أمثلته.

-الإستراتيجية الفكرية: وتُعنَى بالقيم الفكرية الرفيعة التي حوتها أمثلة الألفية.

-الإستراتيجية الأدبية: وتهتم بالقيمة الأدبية للأمثلة من حيث هي شواهد قرآنية أو شعرية.

-الإستراتيجية الفقهية: وتدرس المسائل الفقهية التي أشار إليها الناظم في ثنايا أمثلته.

-الإستراتيجية النفسية: وتُعنَى بالمعاني النفسية الإيجابية التي جاءت بها الأمثلة في الألفية.

-الإستراتيجية الكلية: وتدرس الأمثلة ذات التوظيف الإستراتيجي المتعدد؛ من حيث جمعها المقاصد الإستراتيجية الكثيرة في المثال الواحد.

---

1 سالم المهذري، الممتع في شرح الآجرومية، مرجع سابق، ص46.

2 ينظر: عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، لبنان، د.ت، ص27.

ويأتي بيان هذه الإستراتيجيات مفصلة؛ بتعريف كلٍّ منها، وبيان أهميتها، ثم دراسة بعض النماذج بما يسمح به المقام، وإلا فلكل إستراتيجية نماذج كثيرة نسبيًا، قد بلغ عدد أبيات بعضها ربع الألفية.

وللإشارة، فقد جُعِلَت الإستراتيجية المنهجية هي الأساس في تصنيف الأمثلة، نظرا لطبيعتها ولكثرة توظيفها في معظم أمثلة الألفية –إن لم نقل كلها–؛ وذلك على اعتبار أن النظم يحتمل خلو المثال من أي مقصد إستراتيجي ما عدا المقصد المنهجيّ؛ لتعلقه بجانب التأليف والصّياغة؛ فلا أقل في إيراد المثال من جعله موضحا للقاعدة أو ممثلا لها، وهذا الإيراد –على بساطته– مقصد منهجيّ على شرط البحث غير إنّ الباحث لم يُعن بدراسة هذه النوعية من الأمثلة لاشتغاله بالأمثلة الموظفة لأغراض منهجية أهمّ وأعقد، وأحق بالدّراسة، وما زاد عن المقصد المنهجيّ بتضمنه مقاصد زائدة (تربوية، أو سلوكية، أو خلقية، أو عقدية...) تم إثباته في الإستراتيجية الموافقة لذلك المقصد.

الإستراتيجية المنهجية

الإستراتيجية المنهجية:

-تعريفهَا:

المنهجية مأخوذة من المنهج، وهو "في أبسط تعريفاته وأشملها: طريقة يصل بها إنسان إلى حقيقة"[1] وليكون ذلك يجب أن تكون هذه الطريقة واضحة بينة عند منتهجا لتؤتي ثمرتها، وهي الوصول للحقيقة المنشودة في المسألة المبحوثة.

والإستراتيجية المنهجية هي: قصد الناظم لإجراءات، يكيَّف بها أمثلته لتؤدي أغراضا مقصودة تتعلق أساسا بجانب النظم والتأليف؛ كأن يستغني بالمثال عن التعريف، أو ينبه به على القيود، والشروط والأحكام، والأنواع... وقد يأتي به لبيان مذهبه في المسألة المعينة، وهذا كثير مطرد في الألفية، قال الشاطبي "من عادة الناظم الاكتفاء بالمثال عن القيود و الأحكام "[2]، ولا يلتزم ابن مالك ذلك دائما؛ إذ "كثيرا ما يأتي بقواعد تشتمل على مُثُل كثيرة مختلفة الوضع، ثم يمثل ببعض ذلك، فلا يكون التمثيل المعيَّن مقيِّدا، بل مبيِّنا لبعض ما اشتملت عليه"[3].

-أهميتهَا:

- الاختصار واجتناب التطويل، ليتمكن الناظم من ذكر الأحكام الكثيرة، بأوجز عبارة، وألطف إشارة، قال العثيمين " والمؤلف –رحمه الله– أتى بالمثال مستغنيا به عن الحكم، وهذا يعد من الاختصار"[4].
- استيعاب القيود، والشروط، والأحكام، والأنواع... مما لا يسمح المقام بذكره سردا، فيستعيض الناظم عن ذلك بالتمثيل.
- إحراز أغراض منهجية مقصودة مختلفة بحسب الحال والمقام، كاستيعاب الأنواع، والأقسام وغيرهما من خلال التمثيل.

---

[1] علي جواد الظاهر، منهج البحث الأدبي، مطبعة العاني، العراق، 1970، ص13.

[2] الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق، ج1، ص37.

[3] نفسه، ج2، ص120.

[4] محمد بن صالح العثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مكتبة الرشد، السعودية، 1434هـ، ج2، ص17.

النموذج الأول: قال ابن مالك في باب الكلام وما يتألَّف منه[1]:

بِتَـا: (فَعَلْـتَ وَأَتَـتْ) وَيَا: (افْعَلِـي) ❋ وَنُـونِ (أَقْبِلَـنَّ) فِعْـلٌ يَنْجَلِـي

ذكر الناظم علامات الفعل التي يتميز بها عن الاسم والحرف، وبيّنها بمثالها.

فالتقدير: بتاءٍ [متحركة] كـ(فعلتَ) -وهي مثلثة- وتاءٍ [ساكنة] كـ(أتتْ)، وبياءٍ كـ(افعلي)، ونونٍ كـ(أقبلنَّ) ينجلي الفعل، ففيه معنى التشبيه من باب إضافة اللفظ لمصدره، وقد سبق أن التشبيه والتمثيل بمعنى.

فالناظم إذن استغنى بذكر مثال العلامة التمييزية للفعل عن ذكر العلامة نفسها، "وعادته أن يعطي الأحكام بالأمثلة ويقرر الأصول بها، طلبا للاختصار، واتّكالًا على فهم المراد منها"[2]، وهذا ملمح منهجي بارز عند ابن مالك، فالنظم مقيَّد بوزن وقافية، مما يجعل الناظم يستغني عن كثير من الكلام، بل يضطره أحيانا لمخالفة قانون العربية مراعاة للعروض، فقد يزيد حرفا، أويحذفه دون مسوّغ نحويٍّ لذلك وقد يجر الفعل أو يصرف غير المنصرف، ونحو ذلك مما يجوز في النظم دون النثر من الضرورات الشعرية وهو ما ألجأ الناظم لقصر (تا فعلت) و (يا افعلي)، والأصل فيهما (تاء فعلت) و (ياء افعلي).

وهنا تبرز الإستراتيجية التمثيلية عند ابن مالك من خلال استغلاله الأمثلة في تقرير القواعد بأخصر لفظ وأوجزه، فتكون الفائدة من جهات:

-جهة تقرير القاعدة بأكبر قدر من خواصّها اللازمة، دون إخلال بقيود التعريف؛ فابن مالك قد جمع علامات الفعل التي أراد ذكرها في بيت واحد سلس سهل لا حشو فيه، وما لم يشر إليه تصريحًا، فقد نبّه عليه تلميحًا؛ فقوله مثلا «تا فعلتَ» يعني به: تاء الفاعل سواء كانت للمخاطب نحو (فعلتَ) وهي التي مثَّل بها، أو للمتكلم نحو (فعلتُ)، أو للمخاطبة المؤنثة نحو (فعلتِ)، ويجمع الجميع كونها ضميرَ رفعٍ بارزًا.

وقوله «وأتتْ» يعني: تاء التأنيث الساكنة.

وقوله «يا افعلي» يعني: ياء المخاطبة.

وقوله «نون أَقبلنَّ» يعني: نون التوكيد، وهي نوعان: مثقَّلة وهي التي مثل لها بقوله (أقبلنَّ) ومخففة وهي في معنى الثقيلة فتلحق بها، نحو (أقبلنْ).

---

1 الألفية: 11.

2 الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق، ج1، ص52.

وعليه فإن ابن مالك قد "أتى بأربع خواص للفعل، أحاطت بالتعريف بجميع الأفعال أو أكثرها"[1] وكل ذلك من خلال الأمثلة فقط.

-التمثيل للقاعدة التي كانت هي هو؛ فباستعمال ابن مالك للمثال كقيد للقاعدة، يكون قد وظَّف تمثيله توظيفا مزدوجا؛ إذ قرَّر القاعدة بقيودها وحدودها من جهة، ومثَّل لهذه القيود من جهة أخرى دون أن يضطر للتكرار أو الإعادة.

فلو قُدِّر أن يسلك غير سبيله في ما نظم لكان قال: بتاء الفاعل، وتاء التأنيث الساكنة، وياء المؤنثة المخاطبة، ونون التوكيد = يكون تمييز الفعل عن الاسم والحرف، ومثال تاء الفاعل: (فعلتَ)، ومثال تاء التأنيث الساكنة: (أتتْ)، ومثال ياء المخاطبة: (افعلي)، ومثال نون التوكيد: (أقبلنَّ).

فهو قد لخَّص كل ذلك ببيت واحد جامع لهذه المعاني في حسن نظم، وجودة سبك، وفَّت بالمقصود.

-احترام العروض، وعدم الإخلال بالوزن، مع حسن النظم، واجتناب الحشو الزائد؛ فقد اضطره الوزن لقصر (تا فعلت) و (يا افعلي)، وإن كان مثله قد جاء شاذًا حكاه الكسائي، إلا أن ما جاء به الناظم أمثل لجعل الاسم معتمدا على الإضافة، فصار نحو إضافة الأسماء الخمسة كقولك: فو زيد، وذو مال[2] وتلك "عادته في أمثال ذلك لا يتحاشى عنه ولا عن غيره من الضرورات الشعرية، واستعمال اللغات النادرة، لداعية الوزن والقافية"[3].

ومن الملامح المنهجية الهامة عند ابن مالك أيضًا، جنوحُه لاعتماد التعريف بأمثلة الخواص التعريفية، وهو أحد طريقين جرت عادة النحاة في التعريف باستعمالهما، والطريق الثاني التعريف بالحدِّ والحد "تمييز للمحدود من جهة معناه، والتعريف بالخواصِّ تمييز له من جهة لفظه [...] ولما كان التعريف بما له من جهة اللفظ أقرب إلى القصد النحوي وأسهل على المبتدىء وهو التعريف بالخواص اجتزأ الناظم -رحمه الله- به"[4]، وفي هذا ملمح تعليمي مميز، وذلك بتحري أقرب السبل وأيسرها إلى فهم المتعلم، وإن لم يكن في باب التعريفات المنطقية هو الأفضل.

فالنحو علم آلة لا علم مقصد، ومن ثمة فالأفضل -والحال هذه-استعمال الأيسر في ذهن المتعلم-المبتدئ خاصة- والأقرب إلى فهمه، وذلك أحرى في حصول المقصود.

---

1 الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق، ص58.

2 ينظر: المصدر نفسه، ص57.

3 نفسه، ص60.

4 نفسه، ص43.

النموذج الثاني: وقال ابن مالك في باب الكلام وما يتألَّف منه أيضًا[1]:

سِـــوَاهُمَا الحَـــرْفُ كَـــ(هَلْ) وَ (فِي) وَ (لَمْ) ❋ فِعْـــلٌ مُضَـــارِعٌ يَلِـــي (لَمْ) كَـــ(يَشَمّ)

يأتي هذا البيت في سياق بيان علامات الحرف، وذلك بعد استيفاء الناظم بيان علامات كل من الاسم والفعل، وهو المقصود بقوله (سواهما) أي: سوى الاسم والفعل.

والحرف علامته عدميّة، لذلك حصره فيما سوى المذكور سابقا وهي علامات الاسم والفعل وذكر من أمثلة الحروف ثلاثة هي: (هل)، و(في)، و(لم)، فما السبب في اختياره لهذه الأحرف بالذات أم إنه اختيار اعتباطي يراد لمجرد التشميل المحض كما هي عادة كثير من النحاة؟

يظهر من اختيار ابن مالك لهذه الأمثلة بهذا الترتيب أنه يقصد لمعانٍ:

1. بيان دخول الأحرف على الأفعال والأسماء من حيث: الاشتراك والخصوص؛ فبدأ بـ(هل) وهي مشتركة تدخل على الفعل والاسم، ثم (في) وهي خاصة بالأسماء لكونها من حروف الجر، ثم (لم) وهي خاصة بالأفعال المضارعة، ويُلاحظ كيف بدأ بما هو عام ثم الأخص فالأخص، وحتى الخاص قدَّم فيه ما يستحق التقديم (وهو الاسم) كما بدأ به في بيان أقسام الكلام، وفي بيان علامات كل قسم "لأنه أشرف الأقسام الثلاثة"[2]، ووجوه تشريفه كثيرة باعتبارات عدة ليس هذا محل بسطها، والشاهد أن "المؤلف –رحمه الله– نوَّع الأمثلة ليشير إلى أن الحرف يكون مختصًّا ويكون مشتركا"[3].
2. استيعاب جميع أقسام الحروف؛ "إذ لا يخرج حرف منها عن أن يكون مختصا بالاسم أو بالفعل أو مشتركا بينهما بثلاثة الأمثلة على ثلاثة الأقسام الحاصرة لأنواع الجنس، وهو تنبيه حسن وجميعها لا يصلح فيه شيء من الخواص المتقدمة للأسماء والأفعال"[4].
3. الإشارة إلى العامل من الحروف وغير العامل منها، وهو متعلق بما سبقه؛ ذلك أن الغالب في المشتركة عدم العمل، كما أن الغالب في المختصة العمل[5]، وهي إشارة خفيّة تفهم من اختيار الناظم لهذه الأحرف دون غيرها مع إمكانه ذلك دون تكلف.

---

1 الألفية: 12.

2 محمد بن صالح العثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج1، ص51.

3 نفسه، ج1، ص63.

4 الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق، ص58–59.

5 محمد بن صالح العثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج1، ص63.

فابن مالك في هذا البيت في سياق تحديد علامات الحرف ليتميَّز عن قسيميه الاسم والفعل، لم يكن يلزمه أن يورد غير هذا المعنى في أمثلته، فيكفيه حينئذ التمثيل بأي مثال ويكون –والحال هذه– مجزئًا لمطابقته المقصود، لكن توظفيه للأمثلة بتلك المقاصد المنهجية التي سبق ذكر شيء منها لهو دليل على إستراتيجية محكمة كان ابن مالك ينتهجها في نظمه للألفية، ولا أدل على ذلك من تواتر هذا النسق في مواضع كثيرة جدًا من الألفية كما سيأتي بيانه بعدُ إن شاء الله.

النموذج الثالث: قول ابن مالك في باب النعت[1]:

وَانْعَــتْ بِمُشْــتَقَ كَصَــعْبٍ وَذَرِبْ ❋ وَشِــبْهِهِ كَــذَا وَذِيْ وَالْمُنْتَسِــبْ

بين الناظم في هذا البيت ما يصلح أن ينعت به، فقال (انعت بمشتق)، ثم أردف مثالين: (صعب) و(ذرب).

وقد ظن بعض شراح الألفية أن هذا التمثيل حشو محض، لا فائدة منه تذكر، ومنهم ابن الناظم نفسه! إذ قال: "فلو قال: (وانعت بوصف مثل صعب وذرب) كان أمثل، لأن من المشتق أسماء الزمان والمكان والآلة، ولا يُنْعَتُ بشيء منها، إنما يُنْعَت بما كان صفة، وهو ما دلَّ على حدث وصاحبه كصعب وذرب، وضارب ومضروب، وأفضل منك..."[2]، وحاصل قوله أن تمثيل أبيه في هذا البيت لا فائدة تُرْجى منه سوى التمثيل المحض، وحيث إن المقام مقام اختصار ونظم، فيكون حينئذ حشوا لا طائل منه.

وهذا مما يدل على تفاوت الأنظار في العلم فهمًا وإدراكًا، فقد يخفى على المتقدم أشياء يفتح الله بها على المتأخر، وكم ترك السلف للخلف!

أما الشاطبي –رحمه الله– فقد أدرك من مثالي الناظم في هذا البيت ما خفي على غيره، إذ قال "وهذان المثالان قد يُظَنُّ أنهما لمجرد التمثيل فقط، ولم يُحرز بهما أمرا كما رآه ابن الناظم"[3]، بل قد أحرز بهما أمورا لو لم تكن لكانت مدخلا عليه؛ إذ (صعب) و (ذرب) مشتقان للفاعل أو للمفعول أو نحوه فيصلح حينئذ أن يقع نعتاً؛ إذ النعت لا يكون إلا بالمشتق كما قال (وانعت بمشتق)، و يلتحق باسم

[1] الألفية: 510.

[2] ابن الناظم، شرح ابن الناظم على ألفية بن مالك، تحقيق محمد باسل عيون السود، مرجع سابق، ص352.

[3] الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق، ج4، ص624.

الفاعل واسم المفعول: الصفة المشبهة واسم التفضيل، فالأولى كمثال الناظم، واسم التفضيل نحو: مررت برجل أكرم منك، فهذه الأشياء كلها مشتقة للفاعل أو المفعول كما في المثال.

ولو كانت مشتقة لغير ذلك لم يصح أن تكون نعتا، ولذلك خرج بقية المشتقات من صلاحية الوقوع نعتًا، كأسماء الزمان و أسماء المكان و أسماء الآلات[1]، فهذا اعتبار أوَّل للمثالين.

وهناك اعتبار ثانٍ "ففي المثالين وصف ثانٍ معتبر، وهو كون معنى الاشتقاق مقصودًا بالمشتق لأن القائل: (مررت بجمل صعب) قاصدًا لمعنى الصعوبة فيه [يعني: وصف الصعوبة]، وكذلك القائل (مررت برجل ذرب) قاصد لمعنى الذربة أو الذرابة فيه، وكذلك: قائم، وقاعد، وضارب، ومحارب ونحو ذلك.

فلو كان غير مقصود الاشتقاق لم ينعت به، لأنه لم يقصد فيه إلا ما قصد في العَلَم من التعريف باسمه فقط"[2]، وقد سبق أن المقصود في النعت ليس الذات فقط، بل الوصف أيضًا، وهو ما أخرج من المشتقات ما أخرجه من صلاحية النعت بها، لعدم حملها ذلك المعنى.

ومن هذا القبيل الأعلام الغلبية كـ(الصديق)، و(الفاروق)، فهي وإن كانت مشتقة، فقد غلب استعمالها إطلاقا على ذوات معينة حتى صارت علمًا عليها، فانتفت عنها بذلك قابلية النعت بها، "فإذا المثالان مقصودان، وهما في موضع الصفة لمشتق، كأنه قال: (وانعت بمشتق شبيه بهذين)"[3]، ففرق بين تأويل الشاطبي وتأويل ابن الناظم –رحم الله الجميع–، والأفهام أرزاق يقسمها الله لمن يشاء، ﴿وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[البقرة:212].

---

[1] ينظر: الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق، ج4، 625.

[2] نفسه، ج4، ص625.

[3] نفسه، ج4، ص626.

الإستراتيجية التربوية

الإستراتيجية التربوية:

-تعريفهَـا:

تعرف التربية على أنها "عملية منظمة لإحداث تغيرات في معارف الفرد، ومهاراته، واتجاهاته من أجل تطوير متكامل في شخصيته، ومن شواهده قوله تعالى ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء:24]، وقوله ﷺ (وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ، فَأَدَّبَهَا، فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا)"[1]، فظهر من هذا شمولية مفهوم التربية للجوانب النفسية، والسلوكية والخلقية للفرد والهدف منها هو إحداث تطوير شامل في هذه الجوانب وغيرها ليكون فردا سويًا في نفسه، فعَّالا في مجتمعه.

والإستراتيجية التربوية هي إعمال الناظم أمثلته في خدمة الجوانب التربوية السامية، قصد تحفير المتعلم على التحلي بها، والعمل بمقتضاها، كحسن التعبد، والقناعة، والوسطية والاعتدال وغيرها من المعاني التي يحث عليها الدين والشرع، ويسحسنها العرف والطبع.

-أهميتهَـا:

- تعريف المتعلم على المعاني التربوية السامية، والقيم السلوكية الرفيعة، حثًّا على التمسك بها.
- تحفيز المتعلم على اكتساب شخصية متزنة، وشاملة النمو، ومتكاملة في جميع النواحي.
- العمل على التطوير الشامل للمتعلم، وذلك بدمج التربية مع التعليم.
- تخريج متعلمين أسوياء، ذوي شخصية قوية، وقيم تربوية راقية، ليكونوا ذخرا للأمة.

[1] مجموعة مؤلفين، معجم مصطلحات العلوم الشرعية، مطبعة مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، ط2، السعودية، 1439هـ، ج1، ص428.

النموذج الأول: قال ابن مالك –رحمه الله– في باب المعرب والمبني[1]:

فَــارْفَعْ بِضَــمٍّ وَانْصِــبَنْ فَتْحًــا وَجُــرْ ❋ كَسْــرًا كَــ(ذِكْرُ اللهِ عَبْــدَهُ يَسُــرّ)

يأتي البيت في سياق بيان علامات الإعراب الأصلية، وهي التي تكون بالحركات، فالأصل في الرفع أن يكون بالضم، كما الأصل في النصب أن يكون بالفتح، وكذا الجر بالكسر، ومثل لذلك بقوله: (ذكرُ اللهِ عبدَه يسرُّ)، فجمع بهذا التمثيل أربعة أمثلة لأربع قواعد:

- فـ(ذكرُ) مرفوعة بالضم على الابتداء، وهي مثال الضمة علامةً للرفع في الاسم.
- و(اللهِ) مجرورة بالكسر على أنها مضاف إليه، وهي مثال الكسرة علامةً للجرّ.
- و(عبدَه) منصوبة على المفعولية للمصدر (ذكر)، وهي مثال الفتحة علامةً للنصب.
- و(يسرُّ) فعل مرفوع، وهو مثال للضمة علامةَ رفع للفعل بعد ذكرها قبلُ علامة رفع للاسم.

فإن قيل: أين مثال النصب للفعل، فالجواب: أنه لم يذكره، ولم يكن يلزمه ذلك أصلا؛ إذ سيأتي في الأبواب القادمة باب نواصب الفعل؛ إذ هو يُنصب لعامل النصب، ومثل ذا يقال في حق المجزوم (وإن كان قد ذكره في البيت بعدُ)، وإنما اكتفى بذكر مثال الفعل المرفوع لعدم احتياجه لعامل ظاهر كقسيميه (المجزوم والمنصوب)؛ فهو مرفوع لخلوّه من الناصب والجازم، فناسب ذلك إفراده بالذكر هنا، مع ما في ذلك من موافقة للوزن والقافية، وابتعاد عن الحشو، واجتناب للتطويل دون كبير فائدة.

إلى هنا فالكلام على المثال من جهة النحو، وهو بنحوه في جل –إن لم تكن كل– شروح الألفية التي تم الوقوف عليها في البحث، إلّا ما كان من إشارة لابن عثيمين –رحمه الله– الذي نبَّه على القيمة التربوية التي يفيدها المثال فقال: "فإذا قلنا (كـ(ذكر الله عبدَه يسر) صار المعنى أن الله إذا ذكر عبدَه، فإن ذلك يسر العبد، وإذا قلنا (كـ(ذكر الله عبدُه يسر) صار المعنى أن العبد إذا ذكر الله سُرَّ بذلك، ولا شك أن الأحسن أن يذكرك الله، فذكر الله لك أحسن من ذكرك الله، يقول الله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[آل عمران:31]، ويقول ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[البقرة:152]، فالأحسن إذن أن نقول: (كـ(ذكر الله عبدَه يسُر)"[2] فقد أشار الشارح إلى جواز الوجهين في ضبط (عبدَهُ)، وذكر أن الأحسن هو ذكر الله للعبد؛ إذ هو أشرف وأعظم، وهو الوجه الذي اختاره الناظم –رحمه الله–.

وفي هذا الاختيار تنبيه على فضل ذكر الله –عز وجل– وهو ما أراد الناظم التنبيه عليه.

---

1 الألفية:25.

2 محمد بن صالح العثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج1، ص112.

فكأنه يحث المتعلم على ذكر الله ليحصِّل بذلك فضيلة ذكرِ الله له، ومن موجبات ذلك ذكرُ الله، كما قال تعالى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[البقرة:152]، فعلق ذكره لعباده بذكر عباده له، قال السعدي في التفسير "فأمر تعالى بذكره، ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لمن ذكره، كما قال تعالى على لسان رسوله: "من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم". وذكر الله تعالى، أفضله، ما تواطأ عليه القلب واللسان، وهو الذكر الذي يثمر معرفة الله ومحبته، وكثرة ثوابه، والذكر هو رأس الشكر فلهذا أمر به خصوصا"[1]، وقول الناظم (يسر) إشارة إلى قليل من كثير فضائل الذكر وقد عدَّد ابن القيم شيئا كثيرا منها في كتابه (الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب)، ومنها "أنه [أي: الذِّكر] يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط"[2]، واختار الناظم هذه الفائدة بالذات لأنها أوفق للوزن والقافية، وهي مع ذلك "من فوائد الذكر العظيمة: أنه يجلب لقلب الذاكر الفرح والسرور والراحة ويورث القلب السكون والطمأنينة؛ كما قال تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد:28] ومعنى قوله تعالى ﴿تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد:28] أي: يزول ما فيها من قلق واضطراب، ويكون فيها بدل ذلك الأنس والفرح والراحة، وقوله ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد:28]: أي حقيق بها وحري أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره تبارك وتعالى"[3].

ففي ضرب الناظم لهذا المثال بالذات جمع لهذه الفائدة التربوية وهي ذكر الله عز وجل، مع مراعاة القافية وقد يقال إن القافية هنا جاءت تبعا للمثال لا العكس؛ إذ كان يسع ابن مالك أن يمثل بأي مثال آخر كأن يقول مثلا: (كـ(ضربُ زيدٍ عبدَه يَضُر)، أو (كـ(قتلُ بكرٍ بغلَه نَكُر) مما يشيع مثله في كلام النحاة مع سعة النثر، فكيف وسع ابن مالك ما وسعه في ضيق الشعر؟!

1 عبد الرحمن بن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، السعودية، 1420هـ، ج1، ص74.

2 ابن القيم، الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، تحقيق بشير عيون، مكتبة دار البيان، سورية، د.ت، ص84.

3 عبد الرزاق البدر، فقه الأدعية والأذكار، مكتبة دار المنهاج، السعودية، 1434هـ، ص19.

النموذج الثاني: قال ابن مالك في باب إعمال اسم الفاعل[1]:

وَكُـــلُّ مَـــا قُـــرِّرَ لِاسْـــمِ فَاعِـــلِ ❋ يُعْطَـــى اسْـــمَ مَفْعُـــولٍ بِـــلَا تَفَاضُـــلِ
فَهْـــوَ كَفِعْـــلٍ صِـــيغَ لِلْمَفْعُـــولِ فِي ❋ مَعْنَـــاهُ، كَـــ(المُعْطَى كَفَافًـــا يَكْتَفِـــي)

يذكر الناظم في هذين البيتين أن أحكام اسم الفاعل تقع لاسم المفعول؛ وذلك لأنه في صياغته كالفعل المبني للمفعول، ومثل لذلك بقوله: المعطى كفافا يكتفي؛ فـ(مُعْطَى) كـ(يُعْطَى).

تظهر في تمثيل الناظم قيمة تربوية قيّمَة، وهي إشارته إلى معنى القناعة بما يعطاه الإنسان والاكتفاء به دون التطلع لما فاته من حظوظ الدنيا، فرأس الأمر: العفاف والكفاف؛ فالعفاف أن يعف عما حرمه الله فيزهد فيه، والكفاف أن يكتفي بما قُدِّر له فيزهد فيما عداه، قال الشاطبي "الكفاف: ما يكفي الإنسان من غير إسراف. وحقيقته: ما كفَّ عن الناس، أي أغنى عنهم وعن اللجأ إليهم. والمعنى: أن الذي أُعطيَ من العيش كفافًا يكتفي به عمَّا في أيدي الناس، ويستغني به عن الكدِّ في الزيادة، والحرص على ما لا يزيده إلا تعبًا وهمًّا"[2]، وهو المعنى الذي أورده من قبل في باب المفعول له بقوله[3]:

فَـــاجْرُرْهُ بِالْحَـــرْفِ وَلَـــيْسَ يَمْتَنِـــعْ ❋ مَـــعَ الشُّـــرُوْطِ كَلِزُهْـــدٍ ذَا قَنِـــعْ

قال الشاطبي "وقنِع هنا بكسر النون –على فعِل– يقْنَع قناعة وقنعانًا إذا رضي عن الله تعالى وقنع أيضا بقسمه، وقنع بقولك، وبالشيئ: إذا رضي به"[4]، فالجامع في معنى القناعة هو الرضى، ولها أحوال ومقامات.

وقد قيل في حد القناعة أنها "الرضا بما دون الكفاية [...] وترك التشوف إِلَى الْمَفْقُود، والاستغناء بالموجود"[5]، فالقناعة تكون بما لا يفي بحاجة العبد، مع عدم تطَلُّعه لما لا يملك، فلا يرد موجودًا، ولا يطلب مفقودًا، وعلى هذا فيتقارب معنى القناعة الذي أشار إليه الناظم في البيت الأوَّل مع معنى الزهد الذي ذكره في البيت الثاني، وإلا فهناك فرق دقيق بينهما إذ "القناعة: الرضا بما دون الكفاية، والزهد:

---

[1] الألفية: 437، 438.

[2] الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق، ج4، ص316.

[3] الألفية: 300.

[4] الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق، ج3، ص280.

[5] السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق محمد عبادة، مكتبة الآداب، مصر، 1424هـ، ص205 و 217.

الاقتصار على الزهيد، أي: القليل وهما يتقاربان، لكن القناعة تقال اعتبارًا برضا النفس، والزهد يقال اعتبارًا بالمتناول لحظ النفس وكل زهد حصل لا عن قناعة فهو تزهُّد لا زهد"[1].

وعلى هذا فيكون الناظم قد جمع الحُسْنَيَيْن معًا، بإيراد المعنيين كليهما تبعًا، مع التنبيه على وجه الكمال في ذلك وهو أن يكون الزاهد قنوعًا، والقنوع زاهدًا، فيحصل له بذلك الخير كله.

وفي معنى الكفاف الذي نبَّه الناظم عليه في البيت الأول، قول النبي صلى الله عليه وسلم " قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافًا، وقنَّعه الله"[2]، قال السعدي –رحمه الله– "حكم صلى الله عليه وسلم بالفلاح لمن جمع هذه الخلال الثلاث. والفلاح: اسم جامع لحصول كل مطلوب محبوب، والسلامة من كل مخوف مرهوب. وذلك أن هذه الثلاث جمعت خير الدين والدنيا، فإن العبد إذا هدي للإسلام الذي هو دين الله الذي لا يقبل دينا سواه، وهو مدار الفوز بالثواب والنجاة من العقاب، وحصل له الرزق الذي يكفيه ويكف وجهه عن سؤال الخلق، ثم تمم الله عليه النعمة، بأن قنعه بما آتاه، وحصل له الرضى بما أوتي من الرزق والكفاف، ولم تطمح نفسه لما وراء ذلك، فقد حصل له حسنة الدنيا والآخرة"[3]، فتبيّن بهذا أن المعنيين الَّذَيْنِ أشار إليهما الناظم من أعظم ما يُنَبَّهُ عليه في باب الخصال التربوية التي ينبغي للمتعلم التحلي بها؛ إذ هي سبب الفلاح في الدنيا والآخرة.

النموذج الثالث: قول ابن مالك في باب المفعول المطلق[4]:

وَقَـدْ يَنُـوْبُ عَنْـهُ مَـا عَلَيْـهِ دَلّ ❋ كَجِـدَّ كُـلَّ الجِـدِّ وَافْـرَحِ الجْـذَلْ

أورد الناظم هذا البيت في بيان حكم نائب المفعول المطلق، إذ "قد ينوب عن المفعول المطلق ما يدل عليه، لإضافته إلى المصدر، أو كان بمعنى المصدر، وهو ما نقول عنه: نائب مفعول مطلق، نحو: (جدَّ كلَّ الجدِّ) فكلمة (كل) مضافة إلى المصدر، نحو: افرح الجذل، والجذل: هو الفرح، كأننا قلنا افرح فرحًا وكذلك بعض، نحو ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ﴾[الحاقة:44]. وكذلك نوعه، نحو: قعد

---

[1] الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، مصر، 1428هـ، ص225.

[2] مسلم، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، د.ت، ج2، ص730، رقم: 1054.

[3] عبد الرحمن بن سعدي، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط4، السعودية، 1423هـ، ص149.

[4] الألفية: 289.

القرفصاء، وآلته، نحو: ضربته عصًا"[1]، فتبيّن بهذا أن ما ينوب عن المفعول المطلق شيئان: مضاف لمصدر دال على المفعول المطلق، أو ما كان بمعنى المصدر، وقد ذكر الناظم ذلك -كعادته- موظفًا الأمثلة مستغنيا بها عن التصريح عن الأحكام، واستعمل لذلك مثالين (جد كل الجد وافرح الجذل)، وبغض النظر عن مدلول المثالين المنهجي، فابن مالك قد ضمنهما قيمة تربوية هامة، وهي التوسط والاعتدال في الأمور كلها فالمطلوب من الإنسان أن يكون جادًّا مجتهدًا في أعماله، دون أن ينسى نصيبه من الفرح والسرور بما أحلَّه الله له، قال العثيمين: "وقوله: (جدَّ): يعني: اجتهد، (كل الجدِّ): أي كل الاجتهاد وهذا موجَّه لطلبة العلم"[2]، فطلبة العلم الشرعي خاصة يكثر فيهم من يستغرق دهره في الجد والاجتهاد دون أن يعطي نفسه نصيبها من الفرح في حدود ما شرعه الله، وذلك غير ما دلَّ عليه الشرع، قال تعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس:58]، قال السعدي –رحمه الله- " ولذلك أمر تعالى بالفرح بذلك فقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾[يونس:58] الذي هو القرآن، الذي هو أعظم نعمة ومنة، وفضل تفضل الله به على عباده ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾[يونس:58] الدين والإيمان، وعبادة الله ومحبته ومعرفته. ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس:58] من متاع الدنيا ولذاتها. فنعمة الدين المتصلة بسعادة الدارين، لا نسبة بينها، وبين جميع ما في الدنيا، مما هو مضمحل زائل عن قريب. وإنما أمر الله تعالى بالفرح بفضله ورحمته، لأن ذلك مما يوجب انبساط النفس ونشاطها، وشكرها لله تعالى، وقوتها، وشدة الرغبة في العلم والإيمان الداعي للازدياد منهما، وهذا فرح محمود"[3].

فتبيّن بهذا أن الفرح منه ما هو محمود يثاب عليه الإنسان، فلا تعارض إذن بين الجدِّ والفرح المحمود، بل ينبغي الجمع بينهما، وهو مقصود الناظم رحمه من إيراد المثالين بهذا النسق في هذا الترتيب فالأصل في الإنسان أن يكون جادًّا في أموره، ولا يمنع ذلك أن يفرح الفرح المشروع، فهي إذن قيمة تربوية مهمة أرشد إليها الناظم في ثنايا تمثيله للقاعدة.

---

[1] عبد العزيز الحربي، الشرح الميسر على ألفية ابن مالك، دار ابن حزم، 1424هـ، ص136.

[2] محمد بن صالح العثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج2، ص385.

[3] عبد الرحمن بن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، ج1، ص366.

الإستراتيجية السلوكية

الإستراتيجية السلوكية:

–تعريفهَـا:

يعرف السلوك بأنه: "مجموعة من الأفعال، والتصرفات، والتغيرات الظاهرة، أو الباطنة التي يمارسها الإنسان داخل البيئة التي يعيش فيها، بقصد تحقيق حاجاته ورغباته"[1]، فالسلوك إذن مطلق التصرف الفعلي الذي يظهره الإنسان، فيدخل في هذا التعريف ما كان سلوكا سويًّا وغير سويٍّ، غير إن المقصود هنا الأوَّلُ.

والسلوك السويُّ هو: "السلوك الذي يتفق مع الأخلاق، والآداب التي دعا إليها الإسلام ويراعي المروءة، والعرف المعتبر، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[الفرقان:63]، وجاء في الحديث الشريف: "إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا المُوطِّؤُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ، وَيُؤْلَفُونَ"[2]، فظهر بهذا أن السلوك السوي هو المتوافق والشريعة، فينبعث من منطلق حسن الأخلاق، وكريم الشيم، بما لا يتعارض والعرف السائد في المجتمع ما لم يخالف العرف أصلا شرعيا، وهذا كله يوجب تواد الناس وتراحمهم وتآلفهم، وذلك من أسمى الغايات المجتمعية.

هذا، ويظهر التداخل بين مفهومي: السلوك والأخلاق في كثير من الحالات، غير إن الأقرب أن يحدد الخلق بما كان من خصائص النفس غير مرئيٍ إلا بآثاره، في حين أن السلوك ما يختص بالظاهر من الأفعال والتصرفات.

والإستراتيجية السلوكية على هذا هي ما قصد إليه الناظم بإيراد الأمثلة حاويةً جملة من السلوكات السويَّة ليتحلى بها المتعلم كالتقوى، والورع، والإنفاق في سبيل الله وغير ذلك.

–أهميتهَـا:

تظهر أهميتها من أهمية اكتساب الفرد –عموما– و المتعلم —خصوصا– للسلوكات الحسنة، لما في ذلك من آثار طيبة على الفرد والمجتمع، فيحيى الجميع حياة طيبة، عنوانها طلب رضوان الله ﷻ بالإحسان للخلق، وكف الأذى عنهم، مما يؤدي لتكوين مجتمع متماسك، متآلف، وذلك أعلى المطالب.

---

[1] مجموعة مؤلفين، معجم مصطلحات العلوم الشرعية، مرجع سابق، ج2، ص914.

[2] نفسه، ص915.

النموذج الأول: قال ابن مالك في باب المعرب والمبني[1]:

مِـــنْ نُـــونِ تَوْكِيـــدٍ مُبَاشِـــرٍ وَمِـــنْ ❋ نُـــونِ إِنَاثٍ كَـــ(يَرُعْنَ مَـــنْ فُـــتِنْ)

ساق الناظم في تمثيله لنون الإناث مثالًا قياسيًا هو (يرعن من فتن)، و مادة (ر و ع) مقياسٌ "يَدُلُّ عَلَى فَزَعٍ أَوْ مُسْتَقَرِّ فَزَعٍ. مِنْ ذَلِكَ الرَّوْعُ. يُقَالُ رَوَّعْتُ فُلَانًا وَرُعْتُهُ: أَفْزَعْتُهُ. وَالْأَرْوَعُ مِنَ الرِّجَالِ: ذُو الْجِسْمِ وَالْجَهَارَةِ، كَأَنَّهُ مِنْ ذَلِكَ يَرُوعُ مَنْ يَرَاهُ. وَالرَّوْعَاءُ مِنَ الْإِبِلِ:الْحَدِيدَةُ الْفُؤَادِ، كَأَنَّهَا تَرْتَاعُ مِنَ الشَّيْءِ. وَهِيَ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي تَرُوعُ النَّاسَ"[2]، فالمادة إذن تدل على حدوث فزع في النفس وهو شدة الخوف، والضمير في (يرعن) عائد على النساء خاصة، بدلالة قوله (من فتن) من الفتنة وهي الابتلاء والاختبار، "وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يُدفع إليه الإنسان من شدّة ورخاء، وهما في الشّدّة أظهر معنى وأكثر استعمالا، وقد قال فيهما: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[الأنبياء:35]"[3] والمعنى من التركيب كما ذكر الشاطبي "أن هؤلاء النسوة لحسنهن وجمالهن يَرُعْنَ من فُتِن بهنَّ"[4]، ففهم من هذا أن سبب الفزع الذي يروع الناس من النساء هو جمالهن وحسنهن، وهذا مجرد عرض ظاهري لمعنى التمثيل في البيت، لكن الذي يبيّن القيمة السلوكية وراء هذا المثال قول ابن عثيمين –وهو في الأصل عالم فقيه– إذْ انبرى لبيان القيمة السلوكية المستفادة من المثال وذلك قبل أن يأتي على بيان جوانبه الإعرابية فيقول: "فالنساء يُروِّعن من فتن بهنَّ، لأنه يخاف منهنَّ، لأنهنَّ يأخذن قلبه، فيمشي وراءهن، وفعلًا هذا هو الواقع –نسأل الله العافية– أن من فُتِن بالنساء أُخِذ قلبه، وصار يمشي كالبهيمة، ولهذا حذَّر النبي – عليه الصلاة والسلام– من فتنة النساء فقال: "اتقوا النساء فإن أوَّل فتنة بني إسرائيل كانت في النساء" وابن مالك –رحمه الله– يقول (يرعن من فتن) تحذيرا من الافتتان بهن"[5]، والنظر في هذا النقل من جهتين؛ جهة الشارح وجهة الماتن؛ فأما الماتن فقد اختار هذا المثال بعينه للتمثيل على مبحث نون الإناث لتناسب النساء مع فتنة الجمال والحسن، وكان يكفيه أن يمثل بأي مثال فيه نون إناث دون أن يتعرض لهذه القيمة السلوكية في المثال المختار.

كأن يقول (كـ[يَبِتْن ليلة]) أو (كـ[يَلِدْن أمة]) أو (كـ[يسُقنَ بغلة]) إلى غير ذلك مما يكفي في بيان القاعدة مع موافقة الوزن والقافية، لكنه خلو من أي فائدة غير هذا.

---

1 الألفية : 20.

2 أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، مرجع سابق، ج2، ص459-460.

3 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان الداودي، دار القلم، سورية، 1412هـ، ج1، ص623.

4 الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق، ج1، ص113.

5 محمد بن صالح العثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج1، ص99.

مع ما في هذه الأمثلة من ركاكة المعنى وقصور المقصد، وإن كانت ومثيلاتها هي الشائعة في أمثلة النحاة ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾[هود:119] ﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾[ص:24]!

وأما الشارح ابن عثيمين –رحمه الله– فيُحْسَب له تعرضه للمثال ببيان ما فيه من القيم الحميدة في حين أن أكثر الشرَّاح لم يلتفت إلى المثال أصلا، إلا ما كان من جهة الإعراب، وبيان الحكم النحويّ، أما هو فقد بيّن القيمة السلوكية المضافة على الفائدة النحوية منَبِّهًا على قصد ابن مالك من إيراد هذا المثال بعينه وهو "تحذيرًا من الافتتان بهن"[1]، وفيه إشارة إلى أن الغاية الكبرى من العلم هي تزكية النفس وإصلاح القلب إذْ: "نَحْنُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَدَبِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى قَلِيلٍ مِنَ الْعِلْمِ"[2]، ومن فقه هذا المعنى فإنه يسعى لتحقيقه متى كان له إلى ذلك سبيل، سواء بطريقة مباشرة أم غير مباشرة، تصريحا كان أم تلميحا.

النموذج الثاني: قال ابن مالك في باب إعمال اسم الفاعل[3]:

وَقَـدْ يُضَـافُ ذَا إِلَى اسْـمٍ مُرْتَفِـعْ ❋ مَعْـنًى كَمَحْمُـوْدُ الْمَقَاصِـدِ الْـوَرِعْ

يأتي هذا البيت في سياق بيان أن اسم المفعول قد يضاف إلى اسم مرفوع معنًى، في نحو: الورعُ محمودُ المقاصدِ، فـ(محمود): اسم مفعول مضاف لـ(المقاصد)، والتقدير: الورعُ محمودٌ مقاصدُه، فهو مرفوع معنى مجرور لفظًا.

ومثل الناظم لهذا الحكم بقوله (محمود المقاصد الورع)، قال الشاطبي "والورع –في كلامه– اسم فاعل من ورع يرع ورعًا، فهو ورعٌ، إذا كفَّ عن المعاصي، فهو متقٍ كافٌّ عمَّا لا يحل.

ومعنى المثال: أن الورع المتقيَ لله مقاصده كلها محمودة، لأن قصده في كل شئ تقوى الله تعالى"[4]، فالورع على هذا ينبني على الكف عما لا ينبغي من المعاصي والآثام، وذلك بالتزام التقوى ظاهرا وباطناً، وثمرة ذلك صلاح المقاصد والنيات.

وذكر الكفوي (1094هـ) في الكليات أن الورع "الاجتناب عَن الشُّبُهَات سَوَاء كَانَ تحصيلاً أَو غير تَحْصِيل، إِذْ قد يفعل الْمَرْء فعلا تورعاً وَقد يتْركهُ تورعاً أَيْضا وَيسْتَعْمل بِمَعْنى التَّقْوَى وَهُوَ الْكَفّ عَن الْمُحرمَات القطعية"[5]، فظهر بهذا أن الورع قدر زائد عن اجتناب المآثم، بل يتعداه إلى اجتناب

1 محمد بن صالح العثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج1، ص99.

2 ابن الأعرابي، معجم ابن الأعرابي، تحقيق عبد المحسن الحسيني، دار ابن الجوزي، السعودية، 1418هـ، ج3، ص1135.

3 الألفية: 439.

4 الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق، ج4، ص322.

5 الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش و محمود المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان، د.ت، ص944.

الشبهات، وكذا أن الورع يكون في الفعل كما يكون في الترك، ومبعث ذلك كله التقوى، فهي التي تحرك العبد ليجترح العمل أو يحجم عنه.

هذا وقد مر أن ابن مالك قد أورد معنى الزهد في مواضع سابقة، والزهد غير الورع، قال ابن القيم: "وَالْفرق بَينه وَبَين الْوَرع أَن الزّهْد ترك مَا لا ينفع فِي الْآخِرَة، والورع ترك مَا يُخْشَى ضَرَرُه فِي الْآخِرَة وَالْقلب الْمُعَلق بالشهوات لَا يَصح لَهُ زهد وَلَا ورع"[1].

فبان بهذا أن الورع درجة، والزهد درجة أعلى، فأضعف الإيمان ترك ما يضر العبد في آخرته من إثم ومعصية وذنب.

أما الزهد فدرجة أرقى من ذلك بأن يحقق العبد منزلة الورع، ثم لا يزال يرتقي في مدارج الكمال حتى يترك ما لا ينفعه في آخرته، من فضول مال أو ولد أو زينة أو متاع دنيويٍ، فكل ذلك إن لم يكن له نفع في الآخرة، فتركه زهد، وهو بطانة أرباب السلوك من المتقين، وأولياء الله الصالحين.

النموذج الثالث: قول ابن مالك في باب الوقف[2]:

وَقِفْ بِهَا الْسَّكْتِ عَلَى الْفِعْلِ الْمُعَل * بِحَذْفِ آخِرٍ كَأَعْطِ مَنْ سَأَل

يشير الناظم في هذا البيت والذي بعده إلى حكم الوقوف بهاء السكت عند الفعل المعتل المحذوف الآخر للبناء أو الجزم، ومثل لذلك بقوله: (أعط)، من الفعل (أعطى) وهو معتل الآخر، وجاء في صيغة الأمر فوجب حذف آخره لبنائه على حذف حرف العلة.

في تمثيل ابن مالك بقوله (أعط من سأل) حثٌ على قيمة سلوكية عظيمة، وهي الإنفاق في سبيل الله إذ يحث الناظم على إعطاء السائل وعدم منعه أو حرمانه، وكثيرا ما يرد الأمر بهذا السلوك في القرآن الكريم فيما يناهز العشرين موضعًا، وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم في مواضع لا تحصى كثرة ومن ذلك قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾[البقرة:254]، قال ابن كثير –رحمه الله– (ت 774هـ): "يأمر تعالى عباده بالإنفاق مما رزقهم في سبيله سبيل الخير ليدخروا ثواب ذلك عند ربهم ومليكهم وليبادروا إلى ذلك في هذه الحياة الدنيا"[3]، فالإنفاق في سبيل الله من السلوكات الرفيعة التي تنفع صاحبها في الدنيا والآخرة، ولهذا ذكر الله أن من سلوكات عباده المؤمنين أنَّ ﴿فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ﴾[الذاريات:19] فهم ينفقون في مراضي الله سواء كانت من النفقات الواجبة كالزكاة، أو

---

[1] ابن القيم، الفوائد، دار الكتب العلمية، ط2، لبنان، 1393هـ، ص118.

[2] الألفية: 893.

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ، ج1، ص671.

النافلة كالإنفاق على السائليـن والمحرومين[1]، وهو ما ذكره الناظم بقوله (أعط من سأل)، فهو يرشد إلى سلوك سبيل المؤمنين الذين جعلوا نصيبا من أموالهم في سبيل الله.

فالحاصل أن الإنفاق في سبيل الله على الوجه الذي يرضيه تعالى من السلوكات الرفيعة التي ينبغي للإنسان أن يتحلى بها، والله الموفق.

[1] ينظر: عبد الرحمن بن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، ص808.

الإستراتيجية الخلقية

الإستراتيجية الخلُقية:

–تعريفهـا:

الخُلُق كما عرفه الشريف الجرجاني: "عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعًا بسهولة سميت الهيئة: خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة: خلقًا سيئًا"[1]. والمقصود بالهيئة الراسخة ما تخرج به الهيئات العارضة أو المتكلفة، فلا تسمى خلقًا إلا إذا ثبتت في الموصوف بها على وجه الملازمة و الرسوخ.

والإستراتيجية الخلقية هي قصد ابن مالك توظيف أمثلته للحث على اكتساب الأخلاق الفاضلة واجتناب الأخلاق الرديئة، كالحث على السخاء، والكرم، ومعالي الشيم والخلال، وكذا التنزه عن ضد ذلك من الأخلاق السيئة.

–أهميتهـا:

تظهر أهمية هذه الإستراتيجية من أهمية الأخلاق في حياة الإنسان، إذا إنها امتثال لأمر الله تعالى و أمر رسوله ﷺ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾[النحل:90]، قال السعدي "هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات لم يبق شيء إلا دخل فيها فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات"[2]، فالله لا يأمر إلا بمكارم الأخلاق، ولا ينهى إلا عن سيئها وقد جمعت هذه الآية على وجازتها ذلك وغيره من أبواب الخير.

وقال ﷺ في الحديث عن أبي ذر الغفاري –رضي الله عنه– "اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"[3]، ففيه الحث على مخالقة الناس جميعهم بالأخلاق الحسنة، لما في ذلك من طمأنينة النفس وراحتها، وجلب مودة الناس وحبهم، وغير ذلك من المصالح الدنيوية والأخروية.

---

[1] الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، لبنان، 1403هـ، ص101.

[2] عبد الرحمن بن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مرجع سابق، ص447.

[3] الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق بشار معروف، مرجع سابق، ج3، ص423، رقم: 1987.

النموذج الأول: قال ابن مالك رحمه الله في باب كان وأخواتها[1]:

وَمِثْــلُ كَــانَ دَامَ مَسْــبُوْقَاً بِمَــا ❋ كَــأَعْطِ مَــا دُمْــتَ مُصِــيْبَاً دِرْهَمَــاً

بيّن ابن مالك في هذا البيت أحكام النواسخ من أخوات (كان) وما يعمل عملها، وذكر من ذلك (دام) إذا سُبِقَت بـ(ما) المصدرية الظرفية، فتكون بمعنى: مدة، في نحو: أعط ما دمت مصيبا درهمًا أي: أعط مدة دوامك مصيبا درهما[2].

فابن مالك هنا ينبّه على خلق عظيم من الأخلاق الفاضلة، وهو غاية الجود؛ إذ الدرهم شيئ قليل، قد لا يفي بحاجة الإنسان نفسه، فكيف إذا بذله أو بذل منه؟ فيصير حينئذ إيثارًا، وذلك مقتضى قوله تعالى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر:9] قال السعدي –رحمه الله– "الإيثار، وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بمحاب النفس من الأموال وغيرها، وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلا من خلق زكي ومحبة لله تعالى مقدمة على محبة شهوات النفس ولذاتها، ومن ذلك قصة الأنصاري الذي نزلت الآية بسببه حين آثر ضيفه بطعامه وطعام أهله وأولاده وباتوا جياعا"[3]، فالإيثار من أعظم الأخلاق التي يتصف بها المسلم.

وقول ابن مالك (مصيبًا) يحتمل وجهين: الإصابة أو الصواب؛ "إذا قلنا (ما دمت مصيبًا) من الإصابة فالمعنى: ما دمت قادرًا واجدًا، وإذا قلنا من الصواب، فالمعنى: (إذا كان في عطائك خير)، لأن الإنسان قد يكون غنيا، ويعطي لكن يعطي في محل خطأ، فإذن المثال (مصيبا درهمًا) صالح لهذا ولهذا يعني (إذا كنت قادرًا فأعط العطاء ما دام واقعًا في محله) "[4].

فتحرر من هذا المثال أخلاق عظيمة: البذل، وإصابة القدرة في البذل، وإصابة الصواب فيه ومجموع هذه معًا، و أخيرا البذل مع الإيثار.

فلنا العجب من جمع الناظم لكل هذه المعاني الشريفة والأخلاق المنيفة في شطر بيت، و﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾[الحديد:21].

النموذج الثاني: قال ابن مالك في باب الإضافة[5]:

---

[1] الألفية: 146.

[2] ينظر: عبد العزيز الحربي، الشرح الميسر على ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ص76.

[3] عبد الرحمن بن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مرجع سابق، ص850.

[4] محمد بن صالح بن عثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج1، ص492، 493.

[5] الألفية: 403.

وَأَلْزَمُـــوا (إِذَا) إِضَـــافَةً إِلَى * جُمَـلِ الأَفْعَـالِ كَهُـنْ إِذَا اعْتَلَـى

يشير ابن مالك في البيت إلى مذهب النحاة من البصريين، في وجوب إضافة (إذا) للجمل الفعلية دون الإسمية، ومثل لذلك بقوله: هن إذا اعتلى.

والمعنى: "صر هيّنا متواضعا، وقوله: (إذا اعتلى): أي إذا ارتفع وتعاظم، وهذا في الحقيقة مثال لكنه حكمة، فإذا رأيت صاحبك مترفّعا فكن أنت متواضعًا، وإذا رأيت صاحبك متشدّدًا فكن أنت مخفّفًا"[1]. وهذا من جليل الأخلاق التي تدوم بها المودة، وهو من مقتضيات الأخوة الصادقة، فلا يُقَابَل الجفاء بجفاء، ولا الاعتلاء بمثله؛ إذ مُؤَدَّى ذلك في النهاية إلى التشاحن والبغضاء.

وقول الناظم (هن إذا اعتلى) يماثل المثل السائر: (إِذَا عَزَّ أَخُوكَ فهُنْ)، يُروى بالضم والكسر والمعنى الأظهر فيهما أنه "إذا صَلُبَ أخوك واشتد فذل له من الذل –بالكسر– ولا معنى للذل هنا، كما تقول: إذا صَعُبَ عليك أخوك فلِنْ له. قال الله عز وجل: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً﴾[الفرقان:63] أي على سكون وطمأنينة"[2]، ويؤيّد هذا المعنى قوله تعالى في وصف عباده المؤمنين﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[المائدة:54]، قال السعدي –رحمه الله– "فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم، وعلى الكافرين بالله المعاندين لآياته، المكذبين لرسله – أعزة، قد اجتمعت هممهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم"[3]، فالذلُّ هنا بمعنى اللين والرحمة، قال البغوي (ت 516هـ) –رحمه الله– "﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[المائدة:54] يعني: أرقاء رحماء، لقوله ﷻ: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[الإسراء:24]، ولم يرد به الهوان، بل أراد به أن جانبهم ليّن على المؤمنين، وقيل: هو من الذل من قولهم دابة ذلول، يعني أنهم متواضعون"[4]، والمعنى من كل طيبٌ حَسَن، فالحاصل أن ابن مالك رحمه الله يرشد المتعلم لخلق نبيل، وهو أن يتواضع و يلين إذا رأى من غيره اعتلاءً وجفوة، فذلك أبقى للصحبة، وأدوم للمودة والله وحده من يهدي لصالح الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا هو.

---

[1] محمد بن صالح بن عثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج3، ص101.

[2] البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق إحسان عبّاس، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1971، ص236.

[3] عبد الرحمن بن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مرجع سابق، ص235.

[4] البغوي، معالم التنزيل، تحقيق محمد النمر وآخران، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ، ج3، ص72.

النموذج الثالث: قال ابن مالك في باب المعرب والمبني[1]:

وَسَـــمِّ مُعْـــتَلاًّ مِـــنَ الأَسْمَـــاءِ مَـــا ❋ كَالْمُصْـــطَفَى وَالْمُرْتَقِـــي مَكَارِمَـــا

بيَّن الناظم في هذا البيت المعتل من الأسماء، وذاك ما لحق آخره حرف علة، كالمصطفى والمرتقي.

فقول الناظم (المرتقي مكارما) فيه الحث على علوِّ الهمة، ورفعة العزيمة، قال الشاطبي "المرتقي: مُفْتَعِل من الرقي، وهو السمو والارتفاع، إما حسًّا كارتقاء السلم ونحوه، وإما معنى كالارتقاء في منازل الشرف أو الكرم وهو المراد هنا.

والمكارم: جمع مَكْرُمَة، وهي الفعلة التي بها ينسب الإنسان إلى الكرم، ونصب مكارما على الظرف مجازًا كأنه ارتقى في نفس المكارم أو على حذف المضاف، أي: درج المكارم، أو منازل المكارم"[2] قال النبي صلى الله عليه وسلم "إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ -و في رِوَايَةٍ (صالحَ)- الأَخْلَاقِ"[3].

فعلوُّ الهمة من عظائم الأخلاق وجليل الخلال التي ينبغي أن يتصف بها المتعلم، ولهذا ركَّز الناظم عليها إجمالا كما في هذا البيت، وإفرادًا كما في غير هذا الموضع مما تم بيان شيء منه في ثنايا هذا البحث، قال صاحب (الذريعة إلى مكارم الشريعة): "والكبير الهمة على الإطلاق هو من لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه فلا يصير عبد عارية بطنه وفرجه، بل يجتهد أن يتخصص بمكارم الشريعة فيصير من خلفاء الله وأوليائه في الدنيا ومن مجاوريه في الآخرة"[4].

والحاصل أن ابن مالك أشار إلى خصلة حميدة ينبغي للمتعلم أن يتحلى بها، لينال حظه من جميل الأخلاق الشيم، وكذا ليحصل بغيته من الترقي في مدارج العلم، وتحصيلها من جوامع الخير، قال ابن القيم -رحمه الله- "فمن علت همته وخشعت نَفسه اتّصف بِكُل خلق جميل وَمن دنت همته وطغت نَفسه اتّصف بِكُل خلق رذيل"[5]، والله المستعان، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

---

[1] الألفية: 46.

[2] الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق، ج1، ص226.

[3] الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، السعودية، 1415هـ، ج1، ص112، رقم: 45.

[4] الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق أبو زيد العجمي، مرجع سابق، ص209.

[5] ابن القيم، الفوائد، مرجع سابق، ص144.

الإستراتيجية العقدية

الإستراتيجية العقدية:

-تعريفهَـا:

العقد، والاعتقاد، والعقيدة بمعنى، وهو في مدلوله الخاص: "عبارة عن مجموعة الأحكام الشرعية التي يجب على المسلم أن يؤمن بها إيمانا جازمًا، وتكون عنده يقينا لا يشوبه شك، ولا يخالطه ريب، فإن كان فيها ريب أو شك، كانت ظنا لا عقيدة"[1]، ومجموعة الأحكام المقصودة هنا هي ما تعلق بأصول الإيمان الستة، والغيبيَّات، ومنهج السلف الصالح وغير ذلك مما هو مقرر في كتب الاعتقاد.

والإستراتيجية العقدية من هذا، ويقصد بها تسخير الناظم أمثلته للتنبيه على بعض المعاني العقدية المهمة كأسماء الله الحسنى وما يتعلق بها، وما يجب لله من العبادة والإخلاص فيها، وكذا أمور الغيب والآخرة ونحو ذلك مما يأتي بيانه إن شاء الله.

-أهميتهَـا:

تظهر أهمية هذه الإستراتيجية بظهور أهمية العقيدة في حياة المسلم، "لأنها هي الأصل وهي الأساس"[2]. وقال الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:56]، ومعنى يعبدونِ: يوحِّدونِ، أي: يفردوني بالعبادة[3]، وذلك هو التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وهو أعظم ما أمر الله به، و"إذا كان أعظم ما أمر الله به التوحيد فإنه يجب أن يبدأ الإنسان بتعلم العقيدة قبل كل شيء العقيدة هي الأساس فيجب أن يبدأ بها بالتعلم والتعليم، وأن يداوم على تدريسها وبيانها للناس؛ لأنها هي أعظم ما أمر الله به، فليس من المناسب أن تجعلها آخر الأشياء، أو لا يؤبه بها، لأن الآن هناك دعاة يزهدون في تعليم التوحيد والعقيدة، فهناك أناس ابتلوا بهذا، ولأن الإخلال بها إخلال بالدين كله فيجب العناية بها"[4]. ولعل صنيع ابن مالك في هذه الإستراتيجية من هذا القبيل، ذلك أن "صاحب العقيدة يريد أن يجعل لها مكانا في العلوم مهما كان"[5]، وهو من الآثار الحسنة للتوحيد على القلب.

---

1 مجموعة مؤلفين، معجم مصطلحات العلوم الشرعية، مرجع سابق، 1129.

2 صالح الفوزان، شرح الأصول الثلاثة، مؤسسة الرسالة، سورية، 1427هـ، ص24..

3 ينظر: محمد بن عبد الوهاب، ثلاثة الأصول وأدلتها، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، 1421هـ، ص8.

4 صالح الفوزان، شرح الأصول الثلاثة، مرجع سابق، ص81.

5 محمد بن صالح بن عثيمين، شرح حلية طالب العلم، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، السعودية، 1434هـ، ص347.

النموذج الأول: قال ابن مالك في باب الابتداء[1]:

وَالْخَبَــرُ الْجُــزْء الْمُــتِمُّ الْفَائِــدَهْ ❋ كَـ(اللَّه بَـرٌّ) وَ(الأَيَادِي شَـاهِدَهْ)

تضمن البيت بيان حد الخبر، وأنه الجزء الذي يتمِّم الفائدة مع المبتدأ، ومثل له الناظم بمثالين: (الله برٌّ) و(الأيادي شاهدةٌ).

وانتُقِدَ ابن مالك في إيراده هذا التعريف للخبر كونه غير مانع؛ إذ يدخل فيه الفاعل بالنسبة لعامله لكونه أيضا متمًا للفائدة، لكن من عَرَفَ منهج ابن مالك في وضع الألفية أيقن "أن ما ظهر من الناظم هو الصواب، والذي لا ينبغي أن يقال بغيره"[2]، ذلك أنه –كما هي عادته في إيراد الحدود والتعريفات– يقيّدها بالأمثلة، فإذا سلَّمنا بأن تعريفه مطلق فقد "أتى بمثال، وقيَّد به هذا المطلق، كـ: (الله بر)، فيكون قوله (الله برٌّ) من تمام التعريف، أي كأنه قال: الخبر الجزء المتم الفائدة كإتمام (برٌّ) في قولك: (الله برٌّ) و(شاهدةٌ) في قولك: (الأيادي شاهدة)، ويكون هذا التمثيل قبل تمام التعريف، فيكون من جملة التعريف، وبهذا يزول الإشكال الذي أوردناه على التعريف الأول، فكأنه قال: الخبر الجزء المتم الفائدة أي: الذي تتم به الفائدة مع المبتدأ"[3]، وهذا كثير في الألفية، حتى صار سمة منهجية عند ابن مالك كما تم التنبيه عليه حين استعراض أنواع الإستراتيجية المنهجية للناظم في هذه الألفية.

هذا وقول الناظم (الله برٌّ)، قال ابن عثيمين: "إيْ والله! الله برٌّ، أي: كثير الخيرات والعطايا، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الرَّحِيمُ﴾[الطور:28]، وقال: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾[النحل:53]، وقال تعالى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[النحل:18]، فالله برٌّ، وهذا لا شك متفق عليه"[4]، والبِرُّ ينسب إلى الله وإلى العبد "فمن الله تعالى الثواب، ومن العبد الطاعة. وذلك ضربان: ضرب في الاعتقاد، وضرب في الأعمال، وقد اشتمل عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾[البقرة:177] وعلى هذا ما روي "أنه سئل عليه الصلاة والسلام عن البِرّ، فتلا هذه الآية" فإنّ الآية متضمنة للاعتقاد والأعمال الفرائض والنوافل"[5]، فالبر على هذا يشمل جميع الطاعات الظاهرة والباطنة، والاعتقادية والعملية.

---

[1] الألفية: 118.

[2] الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق، ج1، ص621.

[3] محمد بن صالح بن عثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج1، ص390.

[4] نفسه، ج1، ص390.

[5] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان الداودي، مرجع سابق، ج1، ص114.

وفي البيت تنبيه على ثبوت اسم من أسماء الله الحسنى وهو: البَرُّ، ومعناه: "الذي شمل الكائنات بأسرها ببره ومنه وعطائه، فهو مولي النعم، واسع العطاء، دائم الإحسان، لم يزل ولا يزال بالبر و العطاء موصوفا وبالمن والإحسان معروفا، تفضل على العباد بالنعم السابغة، والعطايا المتتابعة، والآلاء المتنوعة ليس لجوده وبره وكرمه مقدار، فهو سبحانه ذو الكرم الواسع، والنوال المتتابع، والعطاء المدرار"[1]، فهي إذن إسهامة عقدية حسنة من الناظم في تعريف المتعلم بربه تعالى، وفي ذلك ما فيه من التزكية والتربية الإيمانية التي تغذي الجانب الروحي للمتعلم بالموازاة مع الجانب العلمي.

وقوله (الأيادي شاهدة)، قال العثيمين: "(الأيادي): جمع (أيْدٍ)، وهي النعمة، و(أيْدٍ) جمع (يدٍ) فإذن هي جمع الجمع، و(الأيادي) هي النعم، فهي شاهدة بأن الله –سبحانه وتعالى- برٌّ"[2]، وفي هذا النقل أن (اليدَ الجارحة تجمع أيْدٍ)، وأن (اليدَ بمعنى العطيَّة والنعمة تجمع على أيادٍ)، غير إنه "قد تجمع اليد الجارحة على: أيادٍ، أنشد ابن جني[الطويل]:

وَمُسْـــتَامَةٍ تُسْـــتَامُ وَهْـــيٍ رَخِيصَـــةٌ ❋ تُبـــاَعُ بِسَـــاحَاتِ الأَيَادِي وَتُمْسَـــحُ

ومعنى (الأيادي شاهدة): أي أن نعم الله تعالى وعطاياه التي خولها عباده من غير استحقاق شاهدة بأنه بر بهم ورحيم بهم سبحانه"[3].

هذا، وعلى القول بجمع اليد الجارحة على الأيادي، فيندرج معنى عقدي آخر، وهو شهادة الأيادي على صاحبها بما اقترفته يوم القيامة، قال تعالى ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[يس:65]، قال ابن جرير في تفسيره " يعني تعالى ذكره بقوله (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ): اليوم نطبع على أفواه المشركين، وذلك يوم القيامة(وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ) بما عملوا في الدنيا من معاصي الله(وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ) قيل: إن الذي ينطق من أرجلهم: أفخاذهم من الرجل اليُسرى(بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) في الدنيا من الآثام، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل"[4]، وعليه فالأيادي تُكَلِّم، والأرجل تَشْهَدُ، أما ابن مالك فقد قال (الأيادي شاهدة)، فنسب الشهادة للأيدي.

وبيان هذا ما ذكره صاحب التحرير والتنوير بقوله " وقد يخيل تعارض بين هذه الآية وبين قوله :﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[النور:24] ولا تعارض لأن آية (يس) في أحوال المشركين وآية سورة النور في أحوال المنافقين. والمراد بتكلم الأيدي تكلمها بالشهادة

---

[1] عبد الرزاق البدر، فقه الأسماء الحسنى، دار التوحيد، السعودية، 1429هـ، ص226.

[2] محمد بن صالح بن عثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج1، ص390.

[3] الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق، ج1، ص622-623.

[4] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1420هـ، ج20، ص544.

والمراد بشهادة الأرجل نطقها بالشهادة، ففي كلتا الجملتين احتباك. والتقدير: وتُكَلِّمُنا أيديهم فتشهد وتُكَلِّمُنا أرجلهم فتشهد"[1]، وعليه فلا تعارض بين ما ذكره ابن مالك وما ورد في الآيات، فقوله (الأيادي شاهدة) أي أنها تتكلم بالشهادة على صاحبها بما عمله في الدنيا، فما أحسنها من لفتة عقدية أشار إليها الناظم في ثنايا عرضه لقواعد النحو، حتى لا يُفْهَم أن هناك انفصالًا بين العلوم العربية والعلوم الشرعية، فهما متكاملان، ولا ينبل أحد في أحدهما حتى ينال حظًا وافرًا من الآخر.

النموذج الثاني: قال ابن مالك في باب الابتداء أيضا[2]:

وَهَـلْ فَـتًى فِـيكُمْ فَـ(مَا خِـلٌّ لَنَـا) ❋ وَرَجُـلٌ مِـنَ الكِـرَامِ عِنْـدَنَا

يأتي البيت في سياق بيان حالات جواز الابتداء بالنكرة، وقد بيّن الناظم قبل ذلك أنه:

لَا يَجُـوزُ الاِبْتِـدَا بِالنَّكِـرَهْ ❋ مَـا لَمْ تُفِـدْ كَعِنْـدَ زَيْـدٍ نَمِـرَهْ

ومن هذه الحالات: أن تكون النكرة معتمدة على نفي، ومثل لذلك بقوله (ما خلٌّ لنا)، ف(ما) هنا نافية، وخل نكرة مبتدأ، خبره محذوف متعلق بالجار والمجرور.

والشاهد قوله (ما خلٌّ لنا)، و(ما) هنا هي التميمية، إذ لوكانت حجازية لعملت فيما بعدها عمل (ليس) ولخرجت إذًا من هذا الباب لاندراجها تحت باب النواسخ[3]، وعليه فيصير المعنى على نفي الخلة.

والخلة أعلى درجات المحبة، قال ابن القيم " وأما الخلة فتوحيد المحبة؛ فالخليل هو الذي توحد حبه لمحبوبه وهي رتبة لا تقبل المشاركة ولهذا اختص بها في العالم الخليلان إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما كما قال الله تعالى ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[النساء:125] وصح عن النبي ﷺ أنه قال إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، وفي الصحيح عنه لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن وفي الصحيح أيضا إني أبرأ إلى كل خليل من خلته"[4]، فظهر بهذا أن الخلة مرتبة في المحبة عالية جدًا، لا يحصُّلها إلا من ذبح محبة كل محبوب من قلبه كما همَّ إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه، ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾[الصافات:103]، ولما "قدَّم محبة

---

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار تونسية للنشر، تونس، 1984، ج23، ص50.

[2] الألفية: 126.

[3] محمد بن صالح بن عثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج1، ص418.

[4] ابن القيم، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، لبنان، 1403هـ، ص48،47.

الله تعالى على محبة الولد خَلُصَ مقام الخلة وفُدِى الولد بالذبح، وقيل إنما سميت خلة لتخلل المحبة جميع أجزاء الروح قال:

قَــدْ تَخَلَّلْــتِ مَسْــلَكَ الــرُّوحِ مِــنِّي ❋ وَبِــــذَا سُمِّـــيَ الخَلِيـــلُ خَلِـــيلًا"[1]

وينبني على هذا فائدة عقدية أخرى في المفاضلة بين مرتبتي المحبة والخلة، ونسبتهما لخليلي الرحمن –محمد وإبراهيم– عليهما السلام، قال ابن القيم: " وقد ظن بعض من لا علم عنده أن الحبيب أفضل من الخليل وقال محمد حبيب الله وإبراهيم خليل الله وهذا باطل من وجوه كثيرة منها إن الخلة خاصة والمحبة عامة فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال في عباده المؤمنين ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة:54] ومنها أن النبي ﷺ نفى أن يكون له من أهل الأرض خليل وأخبر أن أحب النساء إليه عائشة ومن الرجال أبوها ومنها أنه قال إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ومنها أنه قال لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام ومودته"[2]، فعلى هذا يقال إن النبي ﷺ خليل الله، كما إن إبراهيم خليل الله، ولا يقال حبيب الله لانتفاء الاختصاص المؤدي لنزول المرتبة.

فإذا عُلِمَ هذا، فما قصد ابن مالك بنفيه للخلة في قوله (فما خلٌّ لنا)؟

فالجواب: أنه "أراد معناها، وجعل أعلى المحبة لله، فيكون المعنى المراد: (فما خلٌّ لنا سوى ربنا) ولم يرد ضرب المثال فقط، لأن بإمكانه أن يبدل الكلمة بكلمة أخرى لا يختل بها الوزن، فلو قال: (فما حبٌّ لنا) لاستقام الوزن، لكن يبدو –والله أعلم، ونسأل الله تعالى ذلك– أنه أراد أن يقول: لا خلٌّ لنا إلا ربُّنا، أي: فما خلٌّ لنا من الناس"[3].

وهنا لطيفة متعلقة بالباب: وهي أن ابن مالك كان من تلاميذه النووي –رحمه الله–، وكان مجلًّا لشيخه ابن مالك معظِّما له، ويظهر ذلك في أنه كان لا يذكره إلا بصيغة التفخيم والتوقير، فكان يقول "ذَكَرَ شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ"[4]، و أيضا " قَالَ شَيْخُنَا الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى"[5]، وكذلك كان ابن مالك موقِّرا للنووي –رحمه الله–، فلما قال ابن مالك (فما خلٌّ لنا) فكأنه خشي أن يجد النووي في صدره شيئا من ذلك، فأردف قائلا: (ورجل من الكرام عندنا)، وقيل أراد به النووي –رحمه الله– وكان عنده[6]، فكأنه أراد أن يؤنسه بذلك، والله أعلمُ.

---

[1] ابن القيم، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، مرجع سابق، ص48.

[2] نفسه، ص49.

[3] محمد بن صالح بن عثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج1، ص241.

[4] النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، ط2، لبنان، 1392هـ، ج3، ص187.

[5] نفسه، ج18، ص64.

[6] الخضري، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، دار الفكر، لبنان، 1424هـ، ص184.

النموذج الثالث: قال ابن مالك في باب الحال[1]:

فَجَـــائِزٌ تَقْدِيْمُـــهُ كَمُسْـــرِعَا ❋ ذَا رَاحِـــلٌ وَمُخْلِصَـــاً زَيْـــدٌ دَعَـــا

ذكر الناظم في هذا البيت جواز تقديم الحال على عاملها في حالات، كأن يكون عاملها فعلًا متصرفًا في نحو (مخلصًا زيدٌ دعَا).

وفي تمثيل الناظم إشارة لمبحث عظيم يعتبر أحد دعامتين يقوم عليهما الدين كله، وهما: الإخلاص والمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الكهف:7] قال السعدي في التفسير "أي: أخلصه وأصوبه"[2]، فالإخلاص بقصد وجه الله وحده لا شريك له والصواب بماتبعة هدي رسوله صلى الله عليه وسلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية الحفيدُ (ت 728هـ) – رحمه الله– " وَلَا بُدَّ فِي عِبَادَتِهِ مِنْ أَصْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا إخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ وَالثَّانِي مُوَافَقَةُ أَمْرِهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ؛ وَلِهَذَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِك خَالِصًا وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدِ فِيهِ شَيْئًا؛ وَقَالَ الْفُضَيْل بْنُ عِيَاضٍ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك:2] قَالَ: أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ قَالُوا يَا أَبَا عَلِيٍّ: مَا أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ؟ قَالَ: إذَا كَانَ الْعَمَلُ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا وَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ"[3]، فالدعاء لا يكون إلا لله، وهذا معنى قول الناظم (مخلصا زيد دعا)، والمقصود بالدعاء هنا نوعاه معاً؛ دعاء العبادة ودعاء المسألة، ويجب الإخلاص فيهما كليهما، قال تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّم دَاخِرِينَ﴾[غافر:60]، فسمى الله الدعاء عبادة، قال ابن جرير في تفسيره "يقول: اعبدوني وأخلصوا لي العبادة دون من تعبدون من دوني من الأوثان والأصنام وغير ذلك (أَسْتَجِبْ لَكُمْ) يقول: أُجِبْ دعاءكم فأعفو عنكم وأرحمكم"[4].

فعلى هذا فقد اشتمل قول الناظم (مخلصا زيد دعا) على إشارة حسنة بالحث على الإخلاص في دعاء الله عز وجل، وهذا هو ديدن الأنبياء والمرسلين، وهم أسياد المعلمين الناس الخير، ولا خير يرشد إليه المتعلم كدعوته للإخلاص والتوحيد.

---

[1] الألفية: 344.

[2] عبد الرحمن بن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مرجع سابق، ص470.

[3] تقي الدين ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 1416هـ، ج3، ص124.

[4] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مرجع سابق، ج21، ص406.

قال محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– واصفًا دعوة النبي ﷺ: "لا خَيرَ إِلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيهِ، وَلَا شَرَّ إِلاَّ حَذَّرَهَا عَنهُ، وَالخَيرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيهِ: التَّوحِيدُ وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنهُ: الشِّركُ وَجَمِيعُ مَا يَكرَهُهُ اللَّهُ وَيَأبَاهُ"[1]، فمدار دعوة الأنبياء والمرسلين على الدعوة إلى التوحيد والاعتقاد السديد مع النهي عن الشرك، والضلال والتنديد.

فيظهر من هذا عناية الناظم رحمه ببيان العقيدة الصحيحة متى وجد لذلك سبيلا، إذ هي أهم ما ينبغي الاعتناء به، فبغياب الإخلاص يقع الشرك، ولا ينفع حينئذ نحو ولا غيره، قال تعالى ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[النساء:116].

[1] عبد المحسن القاسم، متون طالب العلم، د.ط، 1438هـ، ص55،56.

الإستراتيجية الفكرية

الإستراتيجية الفكرية:

-تعريفهَـا:

يعرف الفكر على أنه "جملة النشاط الذهني من تفكير، وإرادة، ووجدان، وعاطفة"[1]، فهو إذن اسم شامل لكل عمليات الذهن التي تثمر في الأخير مخرجات تسمى بالفكر.

والإستراتيجية الفكرية هي تضمين الأمثلة جملة من المعاني الفكرية، التي تمس جانب الفكر الإنساني ورؤيته للعالم، كتوخي الحكمة في التفكير، وتبني العلم في جميع الأحوال، وتمجيد ذوي السبق من العلماء والفضلاء، ونحو ذلك مما من شأنه تقويم عقلية المتعلم، ليستطيع من خلال ذلك تكوين رؤية صحيحة عن العالم الذي يعيش فيه.

-أهميتهَـا:

- تعويد المتعلم على إعمال الذهن في القضايا الفكرية المهمة.
- تغذية فكر المتعلم بجملة من الأفكار التنويرية، ليحسن إدراكه، وتقوى عقليته.
- تحسين رؤية المتعلم للعالم، عن طريق الاهتمام بالجوانب الفكرية لديه.
- تثبيت الأمن الفكري للمتعلم، وتحصينه من الأفكار الدخيلة والهدَّامة.

[1] مجموعة مؤلفين، معجم مصطلحات العلوم الشرعية، مرجع سابق، ج3، ص1217.

النموذج الأول: قال ابن مالك في باب الابتداء[1]:

كَـــــضَرْبِيَ العَبْـــــدَ مُسِـــــيئًا وَ(أَتَمّ ❋ تَبْيِيـــــنِيَ الحَـــــقَّ مَنُوطًـــــا بِالحِكَـــــمْ)

جاء ابن مالك بهذا المثال (أتم تبييني الحق منوطا بالحكم) في سياق التمثيل لمجيئ المبتدأ اسم تفضيل مضافا لمصدر، وبعده حال سدت مسد الخبر، وهي لا تصلح أن تكون خبرا.

قال ابن عثيمين: "قوله: (منوطًا) أي: معلقا بالحِكَم، يعني: أحسن شيئ في بيان الحق أن تبيّنه وتبيّن الحكمة منه، والحكمة هي الدليل، وإن كنت إذا بيّنت الحق ولم تبيّن الحكمة، فهذا بيان بلا شك لكن الأكمل أن تبيّن الحق، وتبيّن الحكمة منه.

وهذا الشطر جيّد من المؤلف، ولذا نقول له: جزاك الله خيرا، وغفر الله لك، لأن كل أمثلته حكمة غالبًا"[2].

فظهر بهذا أن الأحسن في البيان أن يكون الكلام مقرونًا بالحِكَم، سواء الحِكَم التي بمعنى: الأدلة أو التي بمعنى: المعاني الرائقة التي يستفاد منها في تنمية الفكر، و تسديد الرأي.

وهذا المثال الذي أورده الناظم دليل على تقصُّده توشيح منظومته بالحكم والفوائد وسائر أنواع القول المفيد سواء في الفكر أو السلوك أو الخلق أو غيرها، وهو نهج حسن لعل الناظم يكون أول من نهجه بهذه الطريقة بما يوجب له الثناء والاعتراف ولذا قال العثيمين "نقول له: جزاك الله خيرا، وغفر الله لك لأن كل أمثلته حكمة غالبًا"[3].

وبهذا يكون ابن مالك قد مهَّد لمنهج في تدريس النحو جديدٍ، ينحو إلى بيان الأحكام مقرونة بالحكم ليستفيد المتعلم بذلك علمًا، وأدبًا، وسلوكًا، وخلقًا، وغير ذلك مما يأي هذا البحث في بيان شيئ منه وكل هذا في سياق إستراتيجيات مقصودة، ومدروسة بغية تحقيق الأهداف المنشودة.

---

[1] الألفية: 141.

[2] محمد بن صالح بن عثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج1، ص472.

[3] نفسه، ج1، ص472.

النموذج الثاني: قول ابن مالك في باب كان وأخواتها[1]:

وَقَـدْ تُـزَادُ كَـانَ فِي حَشْـوٍ كَمَـا ❋ كَـانَ أَصَـحَّ عِلْـمَ مَـنْ تَقَـدَّمَا

يأتي البيت في سياق بيان بعض خصائص (كان)، وهي أنها قد تأتي زائدة في حشو الكلام لا عمل لها.

ومثل لذلك بقوله: "ما كان أصح علم من تقدَّما"، قال ابن عثيمين –رحمه الله– "هذا مثال طيب، فعلم المتقدمين هو الصحيح، أما المتأخرون فما أكثر الحشو في علمهم وعدم الفائدة، فإنك قد تقرأ عشر صفحات من كتاب ولا تستفيد، وإذا استفدت فالفائدة قليلة، لكن كتب المتقدمين وعلمهم أصح وأنفع، ولهذا أنا أنصح طلبة العلم ألا يقرؤوا في كتب المتأخرين، فما فيها إلا الزخرفة والتنويع والتبويب لكن العلم المكنوز تجده في كتب الأولين. هذا مع ما في كتب المتأخرين من انحراف، وعدم ثقة بالمؤلف ومع ذلك نجد أن الإنسان الذي يسير على طريقة الأولين في أسلوبه وفي عرضه للمعاني تجد أنه أنفع"[2]. فعلى هذا فالذي يطلب نجابة في العلم، وبلغة في إدراكه فعليه بكتب الأسلاف من المتقدمين وذلك في شتى العلوم لا سيَّما الشرعية واللغوية منها، فعبارتهم على وجازتها حمَّالة معانٍ قد لا يفي بشيء منها المجلدات من كتب المتأخرين، وقد صنف العلماء في ذلك حتى أوعبوا إيعابًا، ومنهم من أفرد لذلك تصانيف كابن رجب الحنبلي (ت 795هـ) –رحمه الله– في كتابه (بيان فضل علم السلف على علم الخلف)، ومما ورد فيه قوله عن السلف أن في كلامهم "من رد الأقوال المخالفة للسنة بألطف إشارة وأحسن عبارة، بحيث يغني ذلك من فهمه عن إطالة المتكلمين في ذلك بعدهم، بل ربما لم يتضمن تطويل كلام من بعدهم من الصواب في ذلك ما تضمنه كلام السلف والأئمة مع اختصاره وإيجازه"[3]، والكلام وإن كان في المقام الأول على علماء الشريعة، فهو نفسه ينطبق تماما على غيرهم، فأكثر السلف أنما كفوا عن التطويل في الكلام تورُّعًا، واكتفاءً بما يفي بالمطلوب، ولكن خلف من بعدهم خلْف أضاعوا العلم واتبعوا الشبهات، فحصل ما هو مشاهد، من قلة البركة في العلم رغم كثرة التأليف وتوافر وسائل العلم،"فمن عرف قدر السلف عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام، وكثرة الجدال والخصام، والزيادة في البيان على مقدار الحاجة لم يكن عيًّا ولا جهلًا ولا قصورًا.

---

[1] الألفية: 154.

[2] محمد بن صالح بن عثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج1، ص522.

[3] ابن رجب الحنبلي، بيان فضل علم السلف على علم الخلف، تحقيق محمد العجمي، دار العصيمي، السعودية، 1406هـ، ص55.

وإنما كان ورعًا وخشية لله وشتغالًا عما لا ينفع بما ينفع"[1].

فهذا سبيل السلف، وكل خير في اتّباع سبيلهم، وانتهاج طريقهم، والله الهادي إلى سواء السبيل.

النموذج الثالث: قول ابن مالك في باب الحال[2]:

وَإِنْ يُقَدَّمْ مُشْعِرُ بِهِ كَفَى ❋ كَالعِلمُ نِعْمَ المُقْتَنَى وَالمُقْتَفَى

يأتي هذا البيت في سياق بيان أن ذكر المخصوص بالمدح يغني عن عن إعادة ذكره إذا وُجِد مُشْعِرٌ به فقول: العلم نعم المقتنى، يغني عن قول: العلم نعم المقتفى العلمُ.

وأما تمثيل ابن مالك فهو من أحسن ما يمثَّلُ به في هذا المقام، قال الشاطبي "والمعنى في المثال: العلم نعم المال المتَّخَذُ، والإمامُ المتَّبعُ الهادي إلى سبيل الرشاد"[3]، وفي هذا حث على العلم واتباع آثاره.

وقال ابن عثيمين: "وهذا مثال لذيذ جدًا، وهو مثال عظيم، وهذا الثناء على العلم صحيح فوالله هو أفضل من المال، فلو جاء عالم وتاجر، فالأفضل فيما اقتنى هو العالم بلا شك، وهذا أمر تكفل الله به قال الله تعالى ﴿يَرْفَعِ اللهُ الذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة:11] ولذلك العلماء ذكرهم مرفوع حتى بعد موتهم، لكن أهل الأموال يذهبون مع أموالهم، وتقسم أموالهم بين الورثة وتنتهي لكن العلم هو القنية النافعة التي يثنى عليها"[4].

فتحرر من هذا أن العلم من أعظم ما يقتنيه العبد في حياته، ونعم ما تُقْتَفَى آثاره وعِبَرُه، والعالم أفضل من التاجر، بل لا وجه مناسبة بينهما، فالأول قد رفع الله شأنه، وأعلى ذكره، كما في الآية، وفيها "فضيلة العلم، وأن زينته وثمرته التأدب بآدابه والعمل بمقتضاه"[5]، وهو معنى قول الناظم (والمقتفى)؛ فالعلم يورث العمل، والعمل هو ثمرة العلم، ولا يسمى العالم عالما حتى يكون عاملًا بمقتضى علمه، مقتفيا آثاره ملتزما آدابه.

---

[1] ابن رجب الحنبلي، بيان فضل علم السلف على علم الخلف، تحقيق محمد العجمي، مرجع سابق، ص92.

[2] الألفية: 491.

[3] الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق، ج4، ص543.

[4] محمد بن صالح بن عثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج3، ص193.

[5] عبد الرحمن بن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مرجع سابق، ص846.

ومن فوائد هذا المثال أنه "يوجب لطالب العلم أن يحرص على طلب العلم، لأن العلم نعم المقتنى والمقتفى"[1]. فظهر بهذا القيمة الفكرية لهذا المثال، إذ فيه أعظم الحث على العلم، الذي لا سبيل لإنارة الفكر البشري إلا به.

[1] محمد بن صالح ابن عثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج3، ص194.

الإستراتيجية الأدبية

الإستراتيجية الأدبية:

-تعريفهَا:

للأدب تعريفات كثيرة، من وجهات نظر متعددة، بحسب الأعصر المختلفة، وليس يعنينا في البحث بسط القول في هذا الشأن؛ إذ المقصود بالأدب الذي منه الإستراتيجية الأدبية: الكلام العربي المحتج به فشمل بذلك: القرآن الكريم، والحديث الشريف، وشعر العرب.

وعليه: فالإستراتيجية الأدبية: تهدف إلى توظيف الشواهد كأمثلة للقواعد، لما لها من قيمة أدبية ولغوية في الدارسات النحوية خاصة؛ إذ عليها مدار إثبات القواعد، وتبيان الدلالات والمقاصد، وفيها يظهر حسن اللغة وجمالها، وبها تبين للقارئ أفنانها.

-أهميتهَا:

- التوظيف الإستراتيجي المزدوج؛ فالشاهد يصلح أن يكون مثالًا على القاعدة، وشاهدًا عليها في الوقت نفسه، قال التهانوي " فإن كل ما يصلح شاهدا يصلح مثالا بدون العكس"[1].
- إثراء القاموس اللغوي للمتعلم برصيد نوعيٍّ معتبرٍ من النصوص العربية، وأوجه استعمالها.

[1] التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان، لبنان، 1996، ج2، ص1447.

النموذج الأول: قال ابن مالك في باب التمييز[1]:

وَالنَّصْبُ بَعْدَ مَا أُضِيفَ وَجَبَا ❋ إِنْ كَانَ مِثْلَ ﴿مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا﴾

والمعنى من البيت: أنه يجب نصب المميَّز إذا كان مضافا، ومثَّل لهذه الحالة بجزء من قوله تعالى ﴿إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُو وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا﴾[آل عمران:91] فـ﴿مِلْءُ﴾ نائب فاعل مرفوع وهو مضاف، و﴿الأَرْضِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعليه فحسب ما قرره الناظم فيجب نصب ﴿ذَهَبًا﴾ على أنه تمييز.

فالمثال الموظّف هنا جزء من آية قرآنية كريمة[2]، وهو إن تم توظيفه كمثال فهو شاهد أيضا على القاعدة.

ومثله أيضا قوله في باب المفعول المطلق[3]:

وَمَا لِتَفْصِيلٍ كَـ﴿إِمَّا مَنًّا﴾ ❋ عَامِلُهُ يُحْذَفُ حَيْثُ عَنَّا

وقد أتى بهذا البيت في سياق بيان وجوب حذف عامل المصدر المفصَّل، ومثل لهذا الحكم بقوله ﴿إِمَّا مَنًّا﴾، وهو بعض قوله تعالى في سورة محمد ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فُشُدُّوا الوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾[محمد:4]، أي: إما تمنون منا، وإما تفدون فداءً[4].

وقوله في باب المنادى المضاف إلى ياء المتكلم[5]:

وَفَتْحٌ اَوْ كَسْرٌ وَحَذْفُ اليَا اسْتَمَرْ ❋ فِي ﴿يَابْنَ أُمَّ﴾ (يَابْنَ عَمِّ) لَا مَفَرْ

والبيت في بيان حكم مضاف المضاف إلى ياء المتكلم، ومثل له بـ﴿يابن أمَّ﴾[طه:94] و (يابن عمِّ) – بفتح الميم في كليهما أو كسرها: قراءتان سبعيَّتان–؛ فالمنادى في كلٍّ (ابن) مضاف إلى مضاف لياء المتكلم المحذوفة تخفيفًا؛ وعليه: فـ﴿بنَ﴾ منادًى منصوب وهو مضاف، و﴿أمِّ﴾ مضاف إليه مجرور بالكسرة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، وعلى القراءة الأخرى في ﴿أمَّ﴾ فتكون الكسرة مقدرة على ما قبل الألف المنقلبة عن ياء محذوفة للتخفيف.

---

[1] الألفية: 359.

[2] لشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق، ج3، ص539.

[3] الألفية: 293.

[4] ينظر: محمد بن صالح العثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج2، ص396.

[5] الألفية: 593.

وقال في باب الإمالة[1]:

وَقَـــدْ أَمَـــالُوا لِتَنَاسُـــبٍ بِـــلَا ❋ دَاعٍ سِـــوَاهُ، كَـــ(عِمَادًا)، وَ﴿تَـــلَا﴾

والبيت في سياق بيان حالات الإمالة، وذكر هنا حالة ما لا يدعوا للإمالة غير التناسب، ومثَّل لذلك بقوله (عمادًا) بالنصب على إرادة الوقف، و﴿تلَا﴾ كما في قوله تعالى ﴿وَالقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾[الشمس:2]، فلا مسوغ لإمالة الألف فيها إلا مناسبة ما حولها من الفواصل وهي ﴿ضُحَاهَا﴾ و﴿جَلَّاهَا﴾ إذ استوفت شرط الإمالة[2]، فناسب أن تلحق ألف ﴿تَلَاهَا﴾ فتمال لمجاورتها ما يمال، فأخذ حكمه، وإن كان للشاطبي توجيه آخر يطلب في مظانه[3].

والحاصل أن ابن مالك قد أشار وهو في سياق التمثيل للقواعد بشواهد من القرآن الكريم، منها ما هو بلفظه كما سبق، ومنها ما هو بمعناه، ومن ذلك:

قوله في باب الحال[4]:

وَعَامِـــلُ الحَـــالِ بِهَـــا قَـــدْ أُكِّـــدَا ❋ فِي نَحْـــوِ (لَا تَعْـــثَ فِي الأَرْضِ مُفْسِـــدَا)

ويشير بذلك إلى قوله تعالى ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، وهو جزء من خمس آيات في: البقرة:60، والأعراف: 74، وهود: 85، والشعراء: 183، والعنكبوت: 36.

ومما يُرجِّح أنه قصد الآية بعينها إتيانُه بنص الآية في الكافية الشافية التي هي أصلُ الألفية، فقال[5]:

وَأَكَّـــدُوا بِالحَـــالِ عَـــامِلاً كَـــ﴿لَا ❋ تَعْثَـــوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِـــدِينَ﴾ فَـــاقْبَلَا

ومثله قوله في باب الموصول[6]:

كَـــذَلِكَ حَـــذْفُ مَـــا بِوَصْـــفٍ خُفِضَـــا ❋ كَـ﴿أَنْـتَ قَـاضٍ﴾ بَعْـدَ أَمْـرِ مَـنْ قَضَـى

يشير بذلك إلى قوله تعالى ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[طه:72][7].وهذا في باب إيراد الشواهد من القرآن وهو أعلى ما يستشهد به من النصوص.

---

1 الألفية: 911.

2 عبد العزيز الحربي، الشرح الميسر على ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ص366.

3 ينظر: الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق، ج8، ص191 وما بعدها.

4 الألفية: 349.

5 ابن مالك، شرح الكافية الشافية، تحقيق عبد المنعم هريدي، جامعة أم القرى، السعودية، د.ت، ج2،ص755.

6 الألفية: 104.

7 عبد العزيز الحربي، الشرح الميسر على ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ص60.

أما من الشعر فقد أورد منه ابن مالك خمسة مواضع، نوَّع فيها بين إيراد البيت كاملا أو إيراد جزء منه بحسب ما يتيحه النظم.

النموذج الثاني: قال في باب المفعول له[1]:

وَقَـــــــــلَّ أَنْ يَـصْحَبَـــهُ الـمُجَـرَّدُ ❋ وَالعَكْـسُ فِي مَصْـحُوبِ (أَلْ) وَأَنْشَـدُوا

لَا أَقْعُـدُ الجُـــبْنَ عَـــنِ الـهَيْـجَـــاءِ ❋ وَلَـــوْ تَـوَالَـــتْ زُمَـــرُ الأَعْـــدَاءِ

قال سليمان العيوني –محقق الألفية– عن صاحب الفتح الودودي: "لم يُدخِل الناظم في الألفية من شواهد العرب إلا هذا البيت، بخلاف الكافية [يعني: الكافية الشافية –أصلَ الألفية–]، فإنه كثيرا ما يدخل فيها شواهد من كلام العرب، قلت[المحقق]: يعني بيتا كاملا، وإلا فقد ذكر جزأين من بيتين"[2]. ويدل هذا على عناية ابن مالك بذكر الشواهد على القواعد النحوية التي يوردها، وإنما قل ذلك في الخلاصة الألفية لأن المقام مقام اختصار وإيجاز فناسب ذلك الاقتصار على المهم في النحو وهو قواعده ومع ذلك لم يخل الناظم متنه من ذكر بعض الشواهد، ومنها البيت المذكور، وجاء به الناظم في بيان وجه ورود المفعول له مقرونًا بالألف واللام، فالأكثر فيه أن يقترن باللام، وقل عكس ذلك، ومن هذا الأخير قول الشاعر (لا أقعد الجبن عن الهيجاء): أي لأجل الجبن[3]، والبيت من شواهد ابن مالك، وابن عقيل والسيوطي، والأشموني، ولا يعرف له قائل[4].

وقال ابن مالك في باب المفعول المطلق[5]:

وَالحَـــذْفُ حَـــتْمٌ مَـــعَ آتٍ بَـــدَلًا ❋ مِـــنْ فِعْلِـــهِ كَـــ(نَدْلًا) اللَّـــذْ كَـــ(انْدُلَا)

يشير الناظم في هذا البيت بقوله (ندلا) إلى قول أعشى همدان (ت 83هـ) في هجاء لصوص [الطويل]:

يَمُـــرُّونَ بِالـــدَّهْنَا خِفَافًـــا عِيَـــابُهُمْ ❋ وَيَـــرْجِعْنَ مِـــنْ دَارِيـــنَ بِجَـــرِّ الحَقَائِـــبِ

عَلَـى حِـينِ أَلْهَـى النَّـاسَ جُـلُّ أُمُـورِهِمْ ❋ فَنَـدْلًا –زُرَيْـقُ– المَـالَ، نَـدْلَ الثَّعَالِـبِ

---

[1] الألفية: 301، 302.

[2] سليمان العيوني، ألفية ابن مالك في النحو والتصريف، مرجع سابق، ص107،108.

[3] ينظر: عبد العزيز الحربي، الشرح الميسر على الألفية، مرجع سابق، ص141، 142.

[4] ينظر: محمد شُرَّاب، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2007، ج2، ص75.

[5] الألفية: 292.

والمعنى أن "هؤلاء اللصوص يمرون بالدهناء في حين ذهابهم إلى دَارِينَ، وقد صفرت عيابهم من المتاع ولكنهم عندما يعودون من دارين يكونون قد ملؤوا هذه العياب حتى انتفخت، وذلك ناشئ من أنهم يختلسون غفلة الناس بمهامهم وبمعظم أمورهم، فيسطون على ما غفلوا عنه من المتاع وينادي بعضهم بعضا، اخطف خطفا سريعا، وكن خفيف اليد سريع الروغان"[1]، وفي هذا البيت ثلاثة شواهد:

-حذف عامل المصدر الآتي بدلا من فعله، وهو شاهد الناظم، وذلك في قوله: فندلا؛ أي: أُندُل ندلًا.

-حذف حرف النداء، في: زريق؛ أي: يا زريق.

-المصدر المبيّن للنوع، في: ندل الثعالب[2].

فهذا البيت من أحسن ما يحفظ في هذا الباب وغيره لجمعه ثلاثة شواهد معًا.

وقال ابن مالك في باب المعرف بأداة التعريف[3]:

وَلِاضْـــــطِرَارٍ كَـــــ(بَنَاتِ الأَوْبَـــــرِ) ❋ كَـذَا (وَطِبْـتَ الـنَّفْسَ يَا قَـيْسُ السَّـرِي)

يشير هنا إلى زيادة (أل) التعريف للضرورة الشعرية، وأورد لذلك شاهدين ضمهما في بيت واحد، فالأول قوله (بنات الأوبر) يشير إلى قول الشاعر:

وَلَقَـــدْ جَنَيْتُـــكَ أَكْمُـــؤًا وَعَسَـــاقِلًا ❋ وَلَقَـــدْ نَهَيْتُـــكَ عَـــنْ بَنَـــاتِ الأَوْبَـــرِ

وهو مجهول القائل "والشاهد: (بنات الأوبر) حيث زاد (ال) في العلم، مضطرا لأن بنات أوبر علم على نوع من الكماة، والعلم لا تدخله «ال»، ومن الجائز أن تكون «بنات أوبر» نكرة، لأنه لا يريد كمأة بعينها، فصح دخول «ال» عليها"[4].

والشاهد الثاني في قول ابن مالك (طبت النفس يا قيس)، يشير بذلك إلى قول رشيد بن شهاب اليشكري، والمعنى من البيت أن الشاعر" ندد بقيس لأنه فر عن صديقه لما رأى وقع أسيافهم، ورضي من الغنيمة بالإياب فلم يدافع عنه ولم يتقدم للأخذ بثأر [...] والشاهد: قوله: طبت النفس، حيث أدخل «أل» على التمييز، الذي يجب تنكيره، في مذهب البصريين، وهذا من الضرورات.

---

[1] محمد شراب، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»، مرجع سابق، ج2، ص26.

[2] ينظر: عبد العزيز الحربي، الشرح الميسر على ألفية ابن مالك، مرجع سابق، 137.

[3] الألفية: 108.

[4] محمد شراب، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»، مرجع سابق، ج2، ص401.

أما الكوفيون فيرون تعريف التمييز وتنكيره، وبذلك تكون ال هنا أصلية"[1]، فجمع ابن مالك مرة أخرى بين أكثر من شاهد في بيت واحد، مما يدل على ملكة قوية واستحضار مكين للشواهد.

وقال ابن مالك في باب الإضافة[2]:

كَـــ(وَحْدَ، لَـــبَّيْ، وَدَوَالَيْ، سَـــعْدَيْ) ❋ وَشَـــذَّ إِيـــلَاءُ (يَـــدَيْ) لِـــ(لَبَّيْ)

وقوله (يدَيْ، للبَّيْ) يشير به لقول الشاعر:

دَعَـــوْتُ لِمَـــا نَابَـــنِي مِسْـــوَرًا ❋ فَلَـــبَّى، فَلَـــبَّيْ يَـــدَيْ مِسْـــوَرِ

وهذا البيت "من شواهد سيبويه التي لا يعلم قائلها، ومِسْوَر: اسم رجل: فلبى: أول الشطر الثاني فعل ماض، وقوله: فلبي يدي .. الفاء للتعليل، ولبي: مصدر منصوب على المفعولية المطلقة بفعل محذوف وأصله (لبيك)، وهو مضاف، ويدي: مضاف إليه، ويدي: مضاف، ومسور: مضاف إليه.

والشاهد: فلبي يدي مسور: حيث أضاف لبي: إلى اسم ظاهر، وهو قوله: (يدي) شذوذا. وفيه دليل على أن (لبيك) مثنى، كما ذهب إليه سيبويه وليس مفردا مقصورا، كالفتى كما يرى غيره"[3].

ويظهر من هذا –علاوة على الفائدة الأدبية للشاهد الشعري المضمن– الفوائد النحوية الزائدة التي يحويها الشاهد وهو ما من شأنه إثراء الملكة اللوغية للمتعلم المتأهِّل.

وقال ابن مالك في باب العطف[4]:

وَنَحْـــوُ (بِشْـــرٍ) تَابِـــعِ (البَكْـــرِيّ) ❋ وَلَـــيْسَ أَنْ يُبْـــدَلَ بِالمَرْضِـــيّ

يشير إلى قول المرار بن سعيد الفقعسي:

أَنَا ابْـــنُ التَّـــارِكِ البَكْـــرِيّ بِشْـــرٍ ❋ عَلَيْـــهِ الطَّيْـــرُ تُرْقُبُـــهُ وُقُوعَـــا

والشاهد من هذا الشاهد أن:" «بشر» عطف بيان، على البكري ولا يجوز أن يكون بدلا؛ لأن البدل على نية تكرار العامل. ولا يصح إضافة «بشر» إلى التارك، لأنه خالٍ من (أل) والمضاف محلى بها"[5].

---

[1] محمد شراب، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»، مرجع سابق، ج2، ص401.

[2] الألفية: 398.

[3] محمد شراب، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»، مرجع سابق، ج2، ص409، 410.

[4] الألفية: 539.

[5] محمد شراب، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»، مرجع سابق، ج3، ص65.

الإستراتيجية الفقهية

الإستراتيجية الفقهية:

-تعريفهَـا:

يعرف الفقه بمعناه العام بأنه "معرفة أحكام الشريعة، فيشمل العملية، والاعتقادية. ويطلق على ذات الأحكام الفرعية، أو الأحكام الشرعية كلها"[1]، فالفقه بهذا المعنى شامل للأحكام الفقهية العملية كالطهارة والصلاة ونحوها، وشامل أيضا للأحكام العقدية كالنُبُوَّات والميعاد، ونحوها، وهذا المعنى الشامل هو الذي اشتهر عند الأولين من العلماء المتقدمين، ثم ضاقت دلالته ليقتصر في الغالب عند المتأخرين على المسائل الفقهية المعروفة في أبواب الفروع الفقهية.

والإستراتيجية الفقهية هي قصد الناظم لذكر بعض الأحكام الفقهية من خلال تمثيلاته، بما لا يخرج عن القصد، ولا يصير معه من حسن النظم إلى الضد، فالكتاب ليس كتاب فقه، وإنما يستجاز من ذلك باليسير الذي لا يخلو ذكره من فائدة لا يضيق المقام عن مثلها، وهو ما صنعه ابن مالك؛ إذ أدرج في ثنايا أمثلته أحكاما فقهية كمبحث النية، والربا في المكاييل، ونحو ذلك مما لا يقبح ذكره، ما دام لا يخلو من فائدة، وهي متحققة كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

-أهميتهَـا:

- إثراء الرصيد العلمي للمتعلم، بذكر الأحكام الفقهية التي تمس الحاجة إليها، مما له علاقة بالنحو.
- تبيان علاقة الفقه بالنحو؛ إذ كثير من المسائل الفقهية لا يستطاع فهمها إلا على ضوء قواعد النحو.

[1] مجموعة مؤلفين، معجم مصطلحات العلوم الشرعية، مرجع سابق، ج3، ص1214.

النموذج الأول: قال ابن مالك في باب المبتدأ[1]:

مُبْتَـــدَأٌ (زَيْـــدٌ) وَ(عَـــاذِرٌ) خَبَـــرْ ❋ إِنْ قُلْـتَ: (زَيْـدٌ عَـاذِرٌ مَـنِ اعْتَـذَرْ)

يأتي هذا البيت في بيان أحكام المبتدأ، واقتصر البيت على التمثيل للحكم؛ إذ من "من عادة الناظم الاكتفاء بالمثال عن القيود والأحكام"[2]، وما هذا المنهج الذي ارتضاه ابن مالك في ألفيته إلا لإستراتيجيات معلومة عنده تفوق مجرد التمثيل للقواعد، بل قد تفوق الإتيان بالأحكام لفظا أحيانا كما هي الحال هنا، غير إن هذا قد يخفى على بعض الشراح للألفية فضلا عن غيرهم، فترى مثلا الهواري (ت 780هـ) يقول "واكتفى بتمثيل المبتدأ عن حده، وفي هذا ما فيه من التقصير في البيان، ولا عذر لمن قدر على البيان فقصر!"[3]، وقد يعتذر للشارح بأنه حكم بما انتهى إليه علمه، ولكن ﴿فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[يوسف:76]، يقول الشاطبي "فقوله: ما عَدِمَ –حقيقةً أو حكمًا– عاملًا لفظيًا، هو معنى قوله: (مبتدأٌ زيد وعاذرٌ خبر) إن قلت: كذا [...] فلا تظنَّ أنه أتى بمثالين على ظاهرهما، وهكذا عادته في هذا النظم، فأعطه حظًّا من نظرك، فإن فيه دفائن قلما يتنبه لها إلا من أعطاه حقه من التفتيش والبحث والله المستعان"[4]، ومن الدفائن التي يحسن التنبيه عليها في هذا التمثيل معنى فقهي، وإن كان يصلح معنى خلقيا، وتربويا أيضا، قال العثيمين "وهنا بحث فقهي: هل يحمد زيد حيث عذر من اعتذر؟ الجواب: فيه تفصيل، إن كان الذي اعتذر إليه قدم عذرا صحيحا، فكونه يعذره فمحمود، وإن قدَّم عذرا غير صحيح، فهو غير محمود"[5]، فهذا الأدب الرفيع يستأهل أن يستغني بمثال يدل عليه على أن تذكر للمسألة حدود جافة وقيود لا تدل عليه، وهذا هو مذهب الناظم وكثير ممن يحمل هم التربية والتأديب قبل العلم، إذْ: "نَحْنُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَدَبِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى قَلِيلٍ مِنَ الْعِلْمِ"[6].

---

[1] الألفية: 113.

[2] الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق، ج1، ص37.

[3] نقلا عن: سليمان العيوني، ألفية ابن مالك في النحو والتصريف، ص86، هامش: 113.

[4] الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق، ج1، ص592، 593.

[5] محمد العثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج1، ص372.

[6] ابن الأعرابي ، معجم ابن الأعرابي، تحقيق عبد المحسن الحسيني، مرجع سابق، ج3، ص1135.

النموذج الثاني: قال ابن مالك في باب الابتداء أيضا[1]:

وَ(رَغْبَـــةٌ فِي الخَـــيْرِ خَيْـــرٌ)، وَعَمَـــلْ ❋ بِـــرٍّ يَـــزِينُ وَلْـــيُقَسْ مَـــا لَمْ يُقَـــلْ

يأتي البيت في سياق بيان حالات جواز الابتداء بالنكرات إذا أفادت، ومثَّل لحالة من تلك الحالات بقوله (رغبةٌ في الخير خيرٌ)؛ إذْ عملت في الجار والمجرور عمل العامل الناصب، والتقدير: أن ترغبَ في الخيرِ خيرٌ[2].

فمثل لذلك بقوله (رغبة في الخير خير)، قال العثيمين "صدق –رحمه الله– فالرغبة في الخير خيرٌ"[3] فههنا مبحث فقهي يتعلق بالنية، وقد يُعَبَّرُ عنها بالقصد، أو الهم، أو الرغبة –وهي تعبير الناظم–؛ فالنية في عمل الخير خير وإن لم يصحبها عمل، لقوله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللهَ كتب الحسناتِ والسَّيِّئاتِ ثمَّ بيَّن ذلك، فمن همَّ بحسنةٍ فلم يعمَلْها كتبها اللهُ له عنده حسنةً كاملةً، فإن هو همَّ بها وعمِلها كتبها اللهُ له عنده عشرَ حسناتٍ إلى سبعِمائةِ ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرةٍ"[4]، قال ابن حجر (ت 852هـ) –رحمه الله– "وَإِرَادَةَ الْخَيْرِ خَيْرٌ لِأَنَّ إِرَادَةَ الْخَيْرِ مِنْ عَمَلِ الْقَلْبِ"[5].

وعليه يؤخذ من هذا أن الرغبة في الخير خير، وأن العبد قد يبلغ بنيته وقصده ما لا يبلغه بعمله وهذا من عظيم الفقه الذي ينبغي تعلمه، فهو مما يحسب للناظم بالتنبيه عليه، فقد ذكر أبو نُعَيْمٍ (ت 430هـ) في الحلية "عن يحي بن أبي كثير، قال: تعلموا النية، فإنها أبلغ من العمل"[6].

---

[1] الألفية: 127.

[2] محمد العثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج1، ص423.

[3] نفسه، ج1، ص424.

[4] البخاري ، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، ج8، ص103، حديث: 6491.

[5] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، لبنان، 1379هـ، ج11، ص325.

[6] أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة، مصر، 1394هـ، ج3، ص70.

النموذج الثالث: قال ابن مالك في باب الحال[1]:

كَـــ(بِعْهُ مُـــدًّا بِكَـــذَا، يَـــدًا بِيَـــدْ) ❋ وَكَـــرَّ زَيْـــدٌ أَسَـــدًا أَيْ: كَأَسَـــدْ

يذكر الناظم في هذا البيت حالة من الحالات التي يكثر فيها مجيئ الحال جامدة، وهي هنا: ما دل على سعر، ومثل له بقوله: بعه مدًا بكذا ، و الحال هنا (مدًا) جامد، لكنه على تقدير: (مسعرًا) وكذا قوله (يدًا بيد) فهو جامد غير إنه على تقدير (مقابضةً)، وهو تأويل قريب[2].

هذا، وغير المعنى النحوي، فقد تضمن البيت التنبيه على قاعدة فقهية في باب البيوع وهي اشتراط المقابضة في الأجناس الربوية الستة يدًا بيد، لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عبادة بن الصامت ﷺ: "الذَّهبُ بالذَّهبِ، والفضَّةُ بالفِضَّةِ، والبُرُّ بالبُرِّ، والشعِيرُ بالشعِيرِ، والتمْرُ بالتمْرِ، والمِلحُ بالمِلحِ مِثْلًا بِمِثْلٍ، سوَاءً بِسَواءٍ، يدًا بِيَدٍ، فإذَا اخْتَلَفَت هذهِ الأصْنَافُ، فبيعوا كيفَ شِئْتُمْ، إذَا كانَ يدًا بِيَدٍ"[3]. فدل الحديث على وجوب تساوي المبيع من الأجناس المذكورة كيلا وتقابضا، وهذا معنى قوله ﷺ "سواءً بسواء، يدًا بيد"، وهو ما أشار إليه الناظم، فالقاعدة أنه "إذا بيع الربويُّ بجنسه، اشترط فيه شرطان:

1-التقابض من الطرفين في مجلس العقد قبل أن يفترقا.

2-التساوي بينهما بالمعيار الشرعي، المكيل بالمكيل، والموزون بالموزون"[4].

فما أحسنه من تمثيل؛ إذ جمع فيه بيان المقصود من القاعدة والتنبيه على معنى قاعدة مهمة في فقه البيوع، فبمعرفة معنى (يدًا بيدٍ) من كونها حالا على معنى الاشتقاق نستطيع أن نستغني بذلك عن الإطالة بذكر شرط (التقابض من الطرفين في مجلس العقد قبل أن يفترقا)، إذ معنى الحالية يغني عنه بمقتضى اللُّغة، وهذا من آثار التمثيلات الإستراتيجية كهذا المثال الذي وظفه ابن مالك رحمه الله.

---

[1] الألفية: 335.

[2] ينظر: محمد بن صالح بن عثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج2، ص490.

[3] مسلم، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د.ت، ج3، ص1210، رقم: 1587.

[4] مجموعة مؤلفين، الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، مجمع الملك فهم لطباعة المصحف الشريف، ط2، السعودية، 1432هـ، ص303

النموذج الرابع: قال ابن مالك في باب أبنية المصادر[1]:

وَ(اسْـــــتَعِذِ اسْـــــتِعَاذَةً ثُمَّ أَقِـــــمْ ❋ إِقَامَـــــةْ) وَغَالِبًـــــا ذَا التَّـــــا لَـــــزِمْ

ذكر الناظم في هذا البيت كيفية صياغة أبنية المصادر لغير الثلاثي، ونبه هنا على فعلين: استعاذ وأقام.

أما (استعاذ) فهي على وزن: استفعل، والأصل فيه أن يكون مصدره على زنة استفعال، نحو: استخرج استخراجا، لكنه هنا معتل العين، فيكون مصدره قياسًا: استِعْوَاذًا، فنقلت حركة العين للفاء قبلها لأحقيّتها بها، ثم قلبت ألفًا لانفتاح ما قبلها، ثم حذفت ألف الاستفعال لتوالي الأمثال، وعوضت تاء تأنيث في آخر الاسم، فوزنه على هذا: استعاذة = اسْتَفْعَلَة[2].

أما (أقام) فهي من قبيل: أفعل إفعالا، لكنه هنا معتل العين، فعُمِل فيه مثل الذي قبله، حتى صار (إقامة) على زنة (إفْعَلَة)، وذكر الناظم غلبة اتصال التاء به، وقد تحذف في نحو قوله تعالى ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾[3].

ذكر الناظم قبل بناء (استعاذ) و (أقام) بناء كل من: فعَّل، وأفْعَل، وتفَعَّل، ثم استفعل، فكان المفترض أن يأتي بأفعل –معتل العين– بعد أفعل –صحيح العين–، ليكون هناك تجانس في ذكر الأبنية.

لكن صنيع الناظم –والله أعلم– لم يكن عبثا، بل أخَّر بناء (إقامة) بعد (استعاذة) لينبه على مسألة فقهية مهمة، وهي التي ذكرها النبي ﷺ في الحديث عن خولة بنت حكيم قال: "مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرُّه شَيْءٌ ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ"[4]، فكأن الناظم ينبه المتعلم على أن يستعيذ بالله ثم يقيم في المنزل الذي ينزل فيه، فلن يضره بعد ذلك شيئ حتى يرحل من منزله ذلك، ويقوي احتمال قصده لهذا المعنى استعماله لحرف العطف (ثم) فقال "استعذ استعاذة ثم أقم"، وهو تنبيه لطيف من الناظم، ولم أجد من نبَّه على هذا المعنى فيما وقفت عليه من الشروحات لكن النسق العام لتمثيلات الناظم في الألفية كلها لا يُسْتَبْعَدُ معه هذا، بل يُرَجِّحُه، والعلم عند الله تعالى.

---

[1] الألفية: 450.

[2] ينظر: ابن القيم، إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، تحقيق محمد السهلي، أضواء السلف، السعودية، د.ت، ج1، 544.

[3] ينظر: نفسه، ج1، ص544، 545.

[4] مسلم، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاء عبد الباقي، مرجع سابق، ج4، ص2080، رقم: 2708.

الإستراتيجية النفسية

الإستراتيجية النفسية:

–تعريفهَـا:

يُعنَى بالإستراتيجية النفسية قصد الناظم لتضمين أمثلته جملة من المعاني الإيجابية، التي من شأنها تعزيز قوة النفس ونشاطها، وذلك بالتركيز على المعاني التحفيزية، والأفكار التنويرية، وكل ما من شأنه تحسين نفسية المتعلم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

والمتأمل لأمثلة ابن مالك يجدها تعج بذلك "لأن كل أمثلته حكمة غالبًا"[1]، وهذا له من الأثر ما لا يخفى في نفسية المتعلم وذهنيته، ويظهر ذلك جليا في تقصده إيراد الأمثلة بصيغة المتكلم غالبا، لما في ذلك من التعزيز الذاتي، والبرمجة النفسية للا وعي، بحيث تكون ذات أثر على المتعلم دون أن يشعر وذلك كقوله (إني أحمد)، و(نحن العرب أسخى من بذل)، (من يصل إلينا يستعن بنا يعن) ونحوها.

–أهميتهَـا:

- تعويد المتعلم على المعاني الإيجابية، والأفكار الحسنة، مما يؤثر على نفسيته ويعود عليها بالخير.
- غرس الأفكار الإيجابية بالتوكيد الدائم والمتواتر على المعاني الراقية كالبذل، والسخاء، والكرم.
- شغل الأمثلة بالمعاني الحسنة بدل المعاني الرديئة و المبتذلة، لما في ذلك من ترقية ذوق المتعلم وتنمية ملكته، وتوسيع آفاقه.

[1] محمد بن صالح بن عثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج1، ص472.

النموذج الأول: قول ابن مالك في باب إن وأخواتها[1]:

مَـعْ تِلْـوِ فَـا الْجَـزَا وَذَا يَطَّـرِدُ * فِي نَحْـوِ خَيْـرُ الْقَـوْلِ إِنِّي أَحْمَـدُ

ساق الناظم هذا البيت في سبيل بيان "أن تكون (إن) وما بعدها حكاية لمعنى المبتدأ، نحو: خير القول أني أحمد الله"[2]، فيصح تأويل (إن) وما دخلت عليه من اسم وخبر بمصدر، فيكون التقدير: (خيرُ القول حمدِي اللهَ)، ولكن الشرط أن تقع (إنَّ) بعد مبتدأ فيه معنى القول، وأن يكون خبرها كذلك يكون فاعل القولين واحدًا، فعندئذ يجوز في (إنَّ) الوجهان الفتح والكسر[3].

ومثل الناظم لهذا الحكم بقوله (إِنِّي أحمدُ)، والحمد أول ما ذكر في القرآن بعد البسملة، قال تعالى ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[الفاتحة:2]، قال السعدي في التفسير " ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [هو] الثناء على الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل، بجميع الوجوه"[4]، فالله تعالى يُحمَد على آلائه ونعمه التي تحصى، ويحمد على أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وفي الحديث عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– " وما مِنْ شيءٍ أحبُّ إلى الله مِنَ الحَمْدِ"[5]، فالله يحب أن يُحمَد، وهو أهل الثناء والمجد سبحانه.

ولو لم يكن للحمد أجر سوى نيل رضوان الله عز وجل لكفى، قال عليه الصلاة والسلام "إن اللهَ ليرضى عن العبدِ أن يأكلَ الأكلةَ فيحمدَه عليها، أو يشربَ الشربةَ فيحمدَه عليها"[6]، ومن هذا الباب ساق الناظم هذا المثال، وساقه بصيغة المتكلم، ليكون أبلغ في النفس، وفيه أيضا تعليم لهذا الذكر العظيم، وأنه من خير ما يقوله العبد، وذلك في قوله (خير القول).

ومن فوائد هذا التمثيل: نيل الرضى من الله تعالى، واكتساب الرضى النفسي، فالحمد دليل على رضا العبد عن ربه، سواء في السراء أو في الضراء؛ إذ إن أمر المؤمن كله له خير، فلله الحمد حمدًا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى.

---

1 الألفية: 182.

2 عبد العزيز الحربي، الشرح الميسر على ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ص89.

3 ينظر: محمد بن صالح بن عثيمين ، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج2، ص34 وما بعدها.

4 عبد الرحمن بن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مرجع سابق، ص39.

5 الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، ط5، السعودية، 1421هـ، ج3، ص18، رقم: 2677.

6 مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج4، ص2095، رقم2734.

النموذج الثاني: قول ابن مالك في باب الاختصاص[1]:

وَقَـدْ يُـرَى ذَا دُونَ أَيَ تِلـوَ أَل * كَمِثْلِ نَحْنُ العُرْبَ أَسْخَى مَنْ بَذَل

ذكر الناظم في هذا البيت أن الاختصاص قد يأتي دون (أي) بأن يكون مقترنا بـ(ال).

ومثل لذلك بقوله: نحن –العُرْبَ– أسخى من بذل، وتقدم ذكر شيئ من الكلام عن السخاء والكرم والجود وما ينتظم في سلك هذه الأخلاق الفاضلة، التي تواتر تنبيه الناظم عليها كلما عنَّت له فرصة لذلك.

وهنا ينوّه بفضل العَرب وأنهم أسخى الباذلين، "وما قاله صحيح، فلا يوجد في الأمم أمة أكرم من العرب، ولا أزكى نسبا، ولا أطيب مَحْتِدًا من العرب، ولهذا كان الرسول ﷺ الذي هو أفضل الرسل كان من العرب، وقد قال الله تعالى ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[الأنعام:124]، فلولا أن أمة العرب هي خير الأمم ما جعله الله منها، ولكن بعد الإسلام صار خير الناس المسلمون، سواء من العرب أم من غير العرب ولكن يزداد المسلم العربي طيبًا إلى طيبه"[2]، والكرم صفة متأصلة في العرب منذ الجاهلية، ولهم في ذلك نوادر وأعاجيب.

والشاهد أن الناظم –رحمه الله– اختار هذا المثال وصاغة بصيغة المتكلم، وضم إليه من يقرأ منظومته من العرب، وفي ذلك من التعزيز الشيئ الكبير؛ إذ يحس القاريئ أنه من قوم كرماء، فلا يحمله ذلك إلا على الاتصاف بأوصافهم، والاقتداء بخلالهم، وكذا فإنه ليس وحيدًا في ذلك، بل هو من أناس كثير يجمهم وصف العروبة، ولهذا قال (نحن العُرْبَ)، وفي هذا إشعار بالانتماء الذي يقوي صلة الفرد بمجتمعه وأمته.

فالحاصل أن في إيراد هذا التمثيل في باب الاختصاص مقصد نفسي حسنٌ، وهو إشارة الناظم لمعنى التفرد بالوصف الطيب والاختصاص به، وهذا ما يحث النفس على التشبع به، وملازمته، حتى يصير خلة وطبيعة، كأن النفس جبلت عليها، فتنبعث لها حينئذ دون تكلف، وذلك من أعلى ما يكون في مدارج الأخلاق.

---

[1] الألفية: 621.

[2] محمد بن صالح بن عثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج3، ص436.

النموذج الثالث: قول ابن مالك في باب البدل[1]:

وَيُبْـدَلُ الفِعْـلُ مِـنَ الفِعْـلِ كَمَـنْ * يَصِـلْ إِلَيْنَـا يَسْـتَعِنْ بِنَـا يُعَـنْ

ذكر الناظم في هذا البيت حكم إبدال الفعل من الفعل، ومثَّل له بقوله: (من يصلْ إلينا يستعنْ بنا يُعنْ)، وهو من بدل الاشتمال؛ فأبدل (يستعنْ) من (يصلْ).

وقول الناظم (يستعن بنا يُعَنْ) فيه إرشاد للتحلي بخلق التعاون، والتعاون "المساعدة علي الحق ابتغاء الأجر من الله سبحانه"[2]، فالمساعدة إنما تكون في الحق وعلى الحق، قال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[المائدة:2]، قال السعدي –رحمه الله– "أي: ليعن بعضكم بعضا على البر [...] والتقوى [...]. وكلُّ خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشر المأمور بتركها، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها بكل قول يبعث عليها وينشط لها، وبكل فعل كذلك. ﴿وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ﴾ وهو التجرؤ على المعاصي التي يأثم صاحبها، ويحرج. ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ وهو التعدي على الخَلْق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فكل معصية وظلم يجب على العبد كف نفسه عنه، ثم إعانة غيره على تركه"[3]، وتمثيل ابن مالك من هذا الباب وهو تنشيط نفس المتعلم على كريم الخلال، وجليل الخصال، ليألفها، وتتعوَّد نفسه عليها فيسهل عليه حينئذ التخلق بها، واستعمالها في مراضي الله جل وعلا.

وفي قول الناظم (يستعنْ بنا يُعَنْ)، إشارة إلى تحقق العون بكل حال للمستعين؛ إذ بنى الفعل للمجهول فلا يهم من يعين، بقدر أهمية أن يتم العون، لأن البغية من ذلك الأجر من الله لا من الخلف وفي قوله أيضا إشعارٌ بالقوة والتمكين، حيث ضمن للمستعين الإعانة في أي شيئ يطلبه بدلالة حذف المتعلق وفي هذا تعزيزُ ثقةِ العبد بربه تعالى، لقوله ﷺ " وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ"[4].

فالحاصل أن تمثيل الناظم مما يورث في النفس حَّب إعانةِ الغير استجابة لأمر الله عز وجل، مع الثقة به سبحانه في تيسير الأمور، وتسيير الأجور، فلله الحمد والمنة.

---

[1] الألفية: 572.

[2] خالد الخراز، موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر، الكويت، 1430هـ، ص441.

[3] عبد الرحمن بن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق،، مرجع سابق، ص218.

[4] مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج4، ص2074، رقم: 2699.

الإستراتيجية الكلية

الإستراتيجية الكليّة:

–تعريفهـا:

هذا النوع من الإستراتيجيات هو مسك الختام لما سبق، والمقصود بهذه الإستراتيجية هو توظيف الأمثلة توظيفا شموليا، يتضمن إستراتيجيات متعددة في مثال واحد.

ولما كانت لكثير من الأمثلة خاصية التعدد الإستراتيجي، ولما لم يحسن جعلها كلها في هذا النوع = كان لِزامًا تخيُّر نماذجَ تستوفي الشرط، وتزيد عليه بأن تتضمن أكبر عدد من الإستراتيجيات، لتستأهل بذلك جعلها نموذجا كليًا، فكان النموذج المدروس.

–أهميتهـا:

- الاقتصاد الإستراتيجي: بشمولها أكثر من إستراتيجية في المثال الواحد، قال الشاطبي " وغالب عادته ألا يأتي بما ظاهره حشو إلا تنبيها على فائدة أو فوائد"[1].
- إظهار إمكانية التوظيف الإستراتيجي المتعدد في المثال الواحد، فيكون التوظيف المفرد من باب أولى، وذلك "لأن بإمكانه أن يبدل الكلمة بكلمة أخرى لا يختل بها الوزن"[2]، فدلَّ صنيعه على تقصُّده ذلك.
- إظهار اقتدار الناظم، وقوة النظم، وجودة النظام، قال العثيمين "وهو من قدرة الرجل"[3].

---

[1] الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق،، ج4، ص622.

[2] محمد بن صالح بن عثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج1، ص241.

[3] نفسه، ج2، ص17.

النموذج: قول ابن مالك في باب الكلام وما يتألف منه[1]:

كَلَامُنَـــا لَفْـــظٌ مُفِيـــدٌ كَاسْـــتَقِمْ ❋ وَاسْـــمٌ وَفِعْـــلٌ ثُمَّ حَـــرْفٌ الكَلِـــمُ

شرع الناظم في بيان الأحكام النحوية ببيان حد الكلام في النحو، فذكر أنه ما توافر فيه شرطان: اللفظ والإفادة، ومثل لذلك بقوله: (استقم).

وإنما جُعِل هذا المثال كنموذج للإستراتيجية الكلية لجمعه عدة مقاصد تشمل جل الإستراتيجيات السابقة أو كلها.

-منهجيًا:

استعمل الناظم مثاله (استقم) لبيان قيود التعريف الذي أورده، وهذا من عاداته المنهجية المطردة في الألفية، فما لا يذكَره من القيود فإنه يشير إليه من خلال المثال الذي يسوقه، ومن ذلك في هذا المثال: دأب كثير من النحاة على تعريف الكلام بأنه: اللفظ المركب المفيد بالوضع؛ فيذكرون له أربعة قيود وذكر الناظم منها اثنين فقط: اللفظ والإفادة، والجواب عن ذلك أنه المثال (استقم) يشملهما؛ فأما التركيب فلأن (استقم) مركب من فعل وفاعل مستتر، وأما الوضع، فسواء أريد به القصد أو ما كان على سنن العرب، فالمثال يتضمنهما جميعا؛ فأما القصد فيغني عنه قيد الإفادة الذي صرح به الناظم؛ إذ ما لم يقصد به الإفادة فليس بكلام أصلا في عرف النحاة، وأما موافقة سنن العرب، فذلك ظاهر من المثال إذ هو موضوع على مقتضى قانون كلام العرب، سواء في التواضع أو الاستعمال، بل هو مستعمل في أفصح الكلام العربي كما سيأتي بيانه بعدُ إن شاء الله[2].

فإن قيل لم اكتفى الناظم بالقيدين المذكورين، وأشار لما لم يذكر بالمثال؟ فالجواب أن ذلك لفوائد منها:

- مراعاة مستوى المخاطبين؛ فذكرُ شرط التركيب، ثم التمثيل بمثال ليس ظاهره التركيب مما لا يَحسُن في التعليم "لأن كون الأشياء مركبة في التقدير أو غير مركبة لا يتبيَّن إلا بعد تمرين وتحصيل، فكان ترك التقييد به أولى بما قصد له"[3]، وتلك نزعة عالم رباني خبير بأحوال المتعلمين وما يصلح لهم.

---

[1] الألفية: 8.

[2] ينظر: الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، ج1، ص33 وما بعدها.

[3] نفسه، ج1، ص35، 36.

- طلب الاختصار "وهو أن يُؤتى بالمثال، ويؤخذ منه الحكم، وهو من قدرة الرجل"[1]؛ وهو من الملامح المنهجية البارزة عند ابن مالك، و"هذه عادته أن يعطي القيود والأحكام بالأمثلة وهو كثير في كلامه"[2].

-أدبيًا:

تمثيل ابن مالك يعتبر شاهدًا لوروده في نصوص القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف —وهما أعلا نصوص الاستشهاد-، فأما القرآن فقد ورد بلفظه في موضعين؛ في قوله تعالى في سورة هود ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[هود:112]، وفي الشورى في قوله تعالى ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[الشورى:15].

وأما السنة فقد ورد في حديث سفيان بن عبد الله الثقفي ﷺ قال: "قلتُ: يا رسولَ اللهِ، قُلْ لي في الإسلامِ قوْلًا لا أسأَلُ عنه أحَدًا بعدَك - وفي حديثِ أبي أُسامَةَ: غيرَك - قال: قُلْ آمنْتُ باللهِ فاستَقِمْ"[3].

وعليه فيصير هذا المثال شاهدًا قرآنيا وحديثيًا يزيده المتعلم إلى ذخيرته اللغوية، وقد تقدم بيان شيئ من أهمية الشواهد في النحو.

-تربويًا-سلوكيًا-خلقيًا-نفسيًا:

تقدَّم قول الله تعالى في سورة هود ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[هود:112]، وفي هذه الآية ذكر أن الله ﷻ" أنه أمر نبيه محمدًا ﷺ ومن معه من المؤمنين، أن يستقيموا كما أمروا، فيسلكوا ما شرعه الله من الشرائع، ويعتقدوا ما أخبر الله به من العقائد الصحيحة ولا يزيغوا عن ذلك يمنة ولا يسرة، ويدوموا على ذلك، ولا يطغوا بأن يتجاوزوا ما حده الله لهم من

---

[1] محمد بن صالح بن عثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج2، ص17.

[2] الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق، ج1، ص37.

[3] مسلم، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مرجع سابق، ج1، ص65، رقم: 38.

الاستقامة"[1]. ففيه أمر الله تعالى نبيَّه ابتداءً والمؤمنين تبعًا بالاستقامة على أمره، شرعًا واعتقادًا، والله لا يأمر إلى بعظائم الأمور وجليلها، فعلم بذلك عظم أمر الاستقامة في دين الله وشمولها لكل أبواب الخير: سلوكًا، وخلقًا وفكرًا، واعتقادًا، وغير ذلك من نواحي الحياة.

ومن أجمع ما قيل في الاستقامة أنها "درجة بِهَا كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لَمْ يكن مستقيما فِي حالته، ضاع سعيه وخاب جهده قَالَ اللَّه تَعَالَى ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾[النحل:92]، ومن لَمْ يكن مستقيما فِي صفته لَمْ يرتق من مقامه إِلَى غيره، وَلَمْ يبين سلوكه عَلَى صحة"[2]، فبان بهذا شمول الاستقامة لأحوال العبد كلها، وأن بها فلاحه الدنيوي والأخروي.

وقد نوّه الله عز وجل بفضل الاستقامة بقوله "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ"[فصلت:30]، فمعنى (استقاموا) كما قال القرطبي (ت 671هـ) بعد أن حكى أقاويل السلف في تأويل الآية "وهذه الأقوال وإن تداخلت فتلخيصها: اعتدلوا على طاعة الله عقدا وقولا وفعلا، وداموا على ذلك"[3]، وجزاؤهم: تَنزُّل الملائكة عليهم بالبشارة والطمأنة نظير استقامتهم في الدنيا بأن لا خوف عليهم فيما خلَّفوا وراءهم من الدنيا، ولا حزن عليهم فيما يستقبلون من أمور الآخرة، وأنهم من أهل جنات النعيم، وفيها ما تشتهيه أنفسهم، وتطلبه أمانيهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر[4]، فالعبد إذا اعتدل عقيدة، وقولا وعملا صلح حاله بلا شك، وكان ذلك من أعظم ما يحصله في هذه الدنيا والآخرة، فيصير من عباد الله المؤمنين الذين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس:62].

وعليه: فمثال (اسقم) على وجازته هو من أبلغ النصح والإرشاد للمتعلمين للزوم سبيل الاعتدال والاستقامة في جميع شؤونهم، سلوكًا، وخلقًا، وقولًا وعملًا.

-عقديًا-فكريًا:

خلص مما سبق أن الاستقامة شاملة لكل نواحي الحياة، ومن ذلك الاستقامة العقدية والفكرية وقد فُسِّرَت الاستقامة بأنها توحيد الله تعالى وطاعته، كما ذكر النووي رحمه الله في سياق شرحه لحديث

---

[1] عبد الرحمن بن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مرجع سابق، ص390.

[2] القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار المعارف، مصر، د.ت، ج2، ص356.

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام البخاري، دار عالم الكتب، السعودية، 1423هـ، ج15، ص358.

[4] ينظر: عبد الرحمن بن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مرجع سابق، ص748.

سفيان بن عبد الله ﷺ السابق، قال: "قال القاضي عياض –رحمه الله–: هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، وهو مطابق لقوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، أي: وحدوا الله وآمنوا به، ثم استقاموا فلم يحيدوا عن التوحيد والتزموا طاعته سبحانه وتعالى إلى أن توفوا على ذلك، وعلى ما ذكرناه أكثر المفسرين من الصحابة فمن بعدهم وهو معنى الحديث إن شاء الله تعالى"[1]، وهو المعنى المرويُّ عن أبي بكر الصديق ﷺ وفئام من السلف رضوان الله عليهم أجمعين[2].

وعلى كلٍّ، ففي هذا المثال من المقاصد الحميدة، والمعاني الجليلة الفريدة، ما حقه الإفراد بالتأليف، لكن يكفي من ذلك ما وسعه هذا المقام، فالقصد بيان شيئ عنه، والتدليل بطرف منه و﴿اللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[البقرة:213].

ويبقى السؤال هل أراد ابن مالك كل هذا من هذا المثال وغيره؟ والجواب: أن ذلك محتَمل ويقوّي هذا الاحتمال تواتر هذه المعاني في كثير من أبيات الألفية، بل تصريحه أحيانا بتقصده توشيح الأبيات بالحكم والمعاني الرفيعة، كقوله في باب الابتداء[3]:

كَـــضَرْبِيَ العَبْـــدَ مُسِـــيئًا وَ(أَتَمّ ❋ تَبْيِيـــنِيَ الحَـــقَّ مَنُوطًـــا بِالحِكَـــمِ)

وهذا الصنيع من ابن مالك فريد من نوعه، عجيب في صنعه، حتى أن بعض شراح ألفيته شكك أن يكون قد استوعب كل هذه المعاني قاصدا إياها، كقول الشاطبي "وهذا كله حسن إن كان الناظم قد قصده"[4]، وقول ابن عثيمين "وابن مالك –رحمه الله– لا أدري بقصد أو بغير قصد [...] فلا أدري هل قصد هذا"[5]، والأصل في الكلام القصد، باعتبار أنه عمل، والعمل مفتقر أبدا إلى نية، وليس هذا بغريب على ابن مالك –رحمه الله–، و﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾[البقرة:105].

---

1 النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق، ج2، ص8.

2 ينظر: القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مرجع سابق، ج2، ص357 وما بعدها.

3 الألفية: 141.

4 الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مرجع سابق، ج1، ص38.

5 محمد بن صالح بن عثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مرجع سابق، ج1، ص113.

خاتمة

خاتمة:

أخيرا، نصل إلى خاتمة هذا البحث، سائلين الله عز وجل أن يختم لي وللقراء بالحسنى، ويأتي بيان أهم النتائج التي أسفر عنها البحث، وهي على ثلاثة أقسام:

-نتائج خاصة: تختص بنتائج الفصل التطبيقيّ.

-نتائج عامـــة: تعم نتائج المذكرة ككلّ.

-مقترحـــــات: فيها أهم ما يمكن التوصية به إنطلاقا مما تمت دراسته في البحث، وما تم التوصل إليه في النتائج.

***النتائج الخاصة:**

- التمثيل يفوق مجرد كونه وسيلة إيضاح، بل في توظيفه إستراتيجيات مدروسة تستوجب إيلاء العناية الكافية بالأمثلة، وشحناتها الدلالية، وكيفية صياغتها، وما يتصل بذلك.
- استعمال الأمثلة العقيمة من نحو (ضرب زيد عمروًا)، أظهر -منذ القديم- آثارًا سلبية وفق معيار التربية والتعليم، بل أدَّى بعزوف بعض المتعلمين عن دراسة النحو بالكلية! أفلم يأن الأوان بعد لمراجعة مدى صلاحية هذا المثال؟
- مما عزز النظرة السلبية عن النحو من كونه علما شكليا جافًّا = عدم الاعتناء بالقيمة المعنوية للأمثلة، والتركيز على استيفاء الجوانب الشكلية الإعرابية فحسب، وإن كان ذلك على حساب المعنى، مما تسبب في بروز أمثلة تضحك الثكلى تارة، وتشمت العدو تارة أخرى.
- عزل الأمثلة سياقيا من الأسباب الممهدة للانفصام الذي نشهده بين النحو وواقع المتعلم؛ ذلك أن الأمثلة الموظفة لا تخدم السياقات الفعلية للخطاب الذي يتداوله المتعلم، بل لا تخدم أية أبعاد فكرية أو سلوكية أو تربوية تجعل للمثال قيمة علمية.
- أهمية استيحاء الأمثلة من الكتاب والسنة، لما في ذلك من فوائد: تربوية، وسلوكية، وخلقية وعقدية... علاوة عن كونها البيئة الأصل التي نشأ منها النحو، والتي لا سبيل لازدهاره إلا بها وفيها.
- تواطؤ النحاة من لدن سيبويه إلى اليوم —على جلالة أقدارهم- على استعمال نمط معيَّن من الأمثلة دون اعتبار للمقاصد الدلالية، جعل التمثيل عملية تَكرَارِيَّة لا حظَّ لها من عناية النحاة إلا ماكان من أمثال ابن مالك -﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾-، ممن سلك سبيلا مغايِرًا في نواحٍ عديدة منها التمثيل، مما يمهد السبيل لمراجعة كثير من المسَلَّمَات في تعليم النحو، بغية رأب الصدع

الذي الذي أصاب صرح هذا العلم، فالخلل ليس في النحو نفسه، إنما هو في كيفية تعليم هذا النحو، وهذا الميدان –تعليميةَ النحو– ليس حكرا على الأوَّلين، ولا قصرا على الأقدمين، بل هو مضمار تتسابق فيه أقدام الباحثين، والعبرة إنما هي بالنتائج.

- تنوع الإستراتيجيات الموظفة من طرف ابن مالك في التمثيل، وتعددها، يدل على أهمية هذا الباب وخطره، ولإن كان ذلك ممكنا في النظم مع ما فيه من قيود الوزن والقافية، فهو في النثر أحرى، ولإن كان ذلك في عصر ابن مالك، فهو في عصرنا أولى، لما للمتأخر من فضل على المتقدم في الجمع والترتيب، والتأليف والتبويب، مع الاستفادة من نتائج ما تجود به النظريات الحديثة، والدراسات المستجدة.

***النتائج العامة:**

- النظر في سيرة ابن مالك يحيلنا إلى أن من أسرار تكوين هذه الذهنية الإبداعية، التفنن في العلوم الشرعية إلى جانب العلوم اللُّغوية؛ فقد اشتهر ابن مالك بالنبوغ في القراءات القرآنية وعللها واللغة وغريبها، ورواية الأشعار وقرضها، فامتزاج كل ذلك سمح بتخريج هذه النوعية الفريدة من الذهنيات الإبداعية، التي كان من نتائجها هذا الحِسُّ التعليمي الرفيع، الذي سلطنا الضوء على جانب من جوانبه الإبداعية العديدة.
- كل الجوانب الإستراتيجية التي حوتها الألفية في توظيف الأمثلة مما تم الوقوف عليه في البحث وغيرها، يؤكد القيمة العلمية لهذا النظم، ومشروعية العناية به تعلُّمًا وتعليمًا كما هو الحال منذ عصر الناظم إلى اليوم، وهو شاهد أيضا على صلاحية نظام المتون العلمية ليكون خيارًا تعليميًا فعَّالًا في المنظومات التربوية التي ما زالت تتخبط في سبيل إيجاد الحل الأنجع لعلاج الضعف اللغوي عند المتعلمين.
- التعليم الإستراتيجي تعليم كليٌّ شموليٌّ، لا مكان فيه للعشوائية والارتجال، بل هو نهج مخطط له مدروس الجدوى، واضح المعالم، يجند أحسن الوسائل التعليمية المتوفرة لتحقيق الأهداف المنشودة بفاعليّة، فكان الأولى إيلاء الأهمية الكافية لموضوع التمثيل ومقاصده التعليمية والتربوية، إلا أن ذلك لا يزال مغْفَلًا بالرغم من الأبعاد الإستراتيجية الهامة التي يتضمنها.
- للتمثيل من الأهمية في البيان ما جعله آلية خطابية متداولة في شتى المقامات والسياقات، بدءًا من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وانتهاءً بجيد كلام العرب شعرًا ونثرًا، وعليه فالمقام

التعليمي أولى باستثمار الأبعاد الإستراتيجية لهذه الآلية لتحقيق مختلف الأهداف المنشودة في العملية التعليمية-التعلمية (تربويا، سلوكيا، خلقيا، فكريا...).

***المقترحات:**

- إيلاء الأمثلة الاهتمام الكافيَ والجادَّ وتفعيل أبعادها الإستراتيجية في العملية التعليمية-التعلُّمية.
- التوظيف الإستراتيجي للأمثلة، بتخصيص دراسات جادة لأبعاد التمثيل الإستراتيجي في الميادين المختلفة (التربية، السلوك، الأخلاق، الفكر، العقيدة...).
- اجتناب الأمثلة الركيكة، والرديئة، وغير المفيدة للمتعلم، فضلا عن الأمثلة السلبية التي تحرض على الضرب والقتل، وغيرها من المعاني السيئة، تحت غطاء التوضيح والتمثيل المجرد.
- أهمية الرجوع للتراث العربي الزاخر، والاستفادة مما وَرَّثه أفاضل العلماء، ودراسته بجدية، بغية الوقوف على النفائس الدفينة التي يعج بها تراثنا العربيّ.

ولا يسع في الأخير إلا التمثُّل بقول الحريري في ملحته:

وَإِنْ تَجِـــدْ عَيْبَـــاً فُسُـــدَّ الخَلَـــلَا ❊ قَـدْ جَـلَّ مَـنْ لَا عَيْـبَ فِيـهِ وَعَـلَا

هذا ما تيسر إيراده، وتهيأ إعداده، وأعان الله على قوله، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، و﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

المصحف الشريف، برواية حفص عن عاصم.

المراجع العربية:

- ابن الأعرابي (أحمد بن محمد البصري، ت340هـ)

1. معجم ابن الأعرابي، تحقيق عبد المحسن الحسيني، دار ابن الجوزي، السعودية، 1418هـ.

- ابن الناظم (محمد بدر الدين بن محمد بن مالك، ت686هـ)

2. شرح ابن الناظم على ألفية بن مالك، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، 2000.

- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت852هـ)

3. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، لبنان، 1379هـ.

- ابن رجب الحنبلي(عبد الرحمن بن أحمد الدمشقي، ت795هـ)

4. بيان فضل علم السلف على علم الخلف، تحقيق محمد العجمي، دار العصيمي، السعودية، 1406هـ.

- ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت774هـ)

5. تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ.

- أبو السعود العمادي (محمد بن محمد بن مصطفى، ت982هـ)

6. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د.ت.

- أبو نعيم (أحمج بن عبد الله الأصبهاني، ت430هـ)

7. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة، مصر، 1394هـ.

- أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله العسكري، ت395هـ)

8. الفروق اللغوية، تحقيق محمد سليم، دار العلم والثقافة، مصر، 1997.

- أحمد الهاشمي

9. جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، لبنان، د.ت.

- أحمد بن فارس(ت395هـ)

10. مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، سورية، 1979.

- أحمد سالم

11. السبل المرضية لطلب العلوم الشرعية، مركز تفكر للبحوث والدراسات، مصر، 2016.

- الألباني (محمد ناصر الدين الألباني)

12. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، السعودية، 1415هـ.

13. صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، ط5، السعودية، 1421هـ.

- البخاري (محمد بن إسماعيل البخاري، ت256هـ)

14. صحيح البخاري، تحقيق محمد الناصر، دار طوق النجاة، لبنان، 1422هـ.

- البغوي (الحسين بن مسعود البغوي، ت516هـ)

15. معالم التنزيل، تحقيق محمد النمر وآخران، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ.

- البكري (عبد الله بن عبد العزيز البكري، ت487هـ)

16. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق إحسان عبّاس، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1971.

- بهاء الدين بن عقيل (عبد الله بن عقيل العقيلي، ت769هـ)

17. شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث–دار مصر للطباعة،ط20، مصر، 1980.

- تاج الدين السبكي (عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ت771هـ)

18. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناحي و عبد الفتاح الحلو، دار هجر، ط2، سورية، 1413هـ.

- الترمذي (محمد بن عيسى الترمذي، ت279هـ)

19. الجامع الكبير–سنن الترمذي، تحقيق بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998.

- تقي الدين ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم الحراني، ت728هـ)

20. مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 1416هـ.

- التهانوي (محمد علي التهانوي، توفي بعد 1158هـ)

21. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان، لبنان، 1996.

22. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1996.

- جمال الدين ابن هشام الأنصاري (عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، ت761هـ)

23. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، لبنان، د.ت.

- جمال الدين الإسنوي (عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي، ت772هـ)

24. نهاية السول شرح منهاج الوصول، دار الكتب العلمية، لبنان، 1999.

- جمال الدين بن منظور (محمد بن مكرم الإفريقي، ت711هـ)

25. لسان العرب، دار صادر، ط3، لبنان، 1414هـ.

- الجوهري (إسماعيل بن حماد، ت393هـ)

26. الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، لبنان، 1987.

- الحسن اليوسي(ت1102هـ)

27. زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، المغرب، 1981.

- خالد الخراز

28. موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر، الكويت، 1430هـ.

- الخضري (محمد الخضري الشافعي)

29. حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، دار الفكر، لبنان، 1424هـ.

- الراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد الأصفهاني، ت1109هـ)

30. المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان الداودي، دار القلم، سورية، 1412هـ.

31. الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، مصر، 1428هـ.

- زين الدين بن موسى

32. طرائق تعليم النحو العربي بين القديم والحديث، مجلة العلوم الإنسانية، عدد36، ديسمبر 2011.

- سالم المهذري

33. الممتع في شرح الآجرومية، مكتبة صنعاء الأثرية، اليمن، 2004.

- سعيد الأفغاني

34. من تاريخ النحو، دار الفكر، سورية، د.ت.

- سليمان العيوني

35. ألفية ابن مالك في النحو و التصريف، مكتبة دار المنهاج، السعودية، 1428هـ.

- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت911هـ)

36. بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، مصر، 1964.

37. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق محمد عبادة، مكتبة الآداب، مصر، 1424هـ.

- الشاطبي (أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، ت790هـ)

38. المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الشافية، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، جامعة أم القرى، السعودية، 2007.

- الشريف الجرجاني (علي بن محمد الجرجاني، ت816هـ)

39. التعريفات، دار الكتب العلمية، لبنان، 1403هـ.

- ابن القيم (محمد بن أبي بكر الزرعي، ت751هـ)

40. إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، تحقيق محمد السهلي، أضواء السلف، السعودية، د.ت.

41. الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق سعيد الخطيب، دار المعرفة، لبنان، 1981.

42. الفوائد، دار الكتب العلمية، ط2، لبنان، 1393هـ.

43. الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، تحقيق بشير عيون، مكتبة دار البيان، سورية، د.ت.

44. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، لبنان، 1403هـ.

45. إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق مشهور آل سلمان، دار ابن الجوزي، 1423هـ.

- صالح آدم بيلو

46. حول الشعر التعليمي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، العدد 52، د.ت، ص206.

- صالح الفوزان

47. شرح الأصول الثلاثة، مؤسسة الرسالة، سورية، 1427هـ.

- الصفوري (عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري، ت894هـ)

48. نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق عبد الوارث علي، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ت.

- الطاهر بن عاشور

49. التحرير والتنوير، الدار تونسية للنشر، تونس، 1984.

- الطبري (محمد بن جرير الطبري، ت310هـ)

50. جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1420هـ.

- عبد الرحمن بن سعدي

51. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط4، السعودية، 1423هـ.

52. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، السعودية، 1420هـ.

- عبد الرزاق البدر

53. فقه الأدعية والأذكار، مكتبة دار المنهاج، السعودية، 1434هـ.

54. فقه الأسماء الحسنى، دار التوحيد، السعودية، 1429هـ.

- عبد العزيز الحربي

55. الشرح الميسر على ألفية ابن مالك، دار ابن حزم، 1424هـ.

- عبد العزيز بن قاسم

56. الدليل إلى المتون العلمية، دار الصميعي، السعودية، 2000.

- عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ)

57. دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، مصر، د.ت.

- عبد الله الفوزان

58. دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، دار المسلم، السعودية، د.ت.

- عبد المحسن القاسم

59. متون طالب العلم، د.ط، 1438هـ.

- عبد الهادي الشهري

60. إستراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2004.

- عبده الراجحي

61. التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، لبنان، د.ت.

- علي الجارم ومصطفى أمين

62. البلاغة الواضحة، دار المعارف، مصر، د.ت.

63. النحو الواضح في قواعد اللغة العربية للمرحلة الابتدائية، دار المعارف، مصر، د.ت.

- علي جواد الظاهر

64. منهج البحث الأدبي، مطبعة العاني، العراق، 1970.

- ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي)

65. البداية و النهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، 1997.

- فراس السليتي

66. إستراتيجيات التعلم و التعليم، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008.

- القرطبي (محمد بن أحمد القرطبي، ت671هـ)

67. الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام البخاري، دار عالم الكتب، السعودية، 1423هـ.

- القشيري (عبد الكريم بن هوازن القشيري، ت465هـ)

68. الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار المعارف، مصر، د.ت.

- الكفوي (أيوب بن موسى الكفوي، ت1094هـ)

69. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش و محمود المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان، د.ت.

- مجموعة مؤلفين

70. الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، مجمع الملك فهم لطباعة المصحف الشريف، ط2، السعودية، 1432هـ.

- مجموعة مؤلفين

71. معجم مصطلحات العلوم الشرعية، مطبعة مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، ط2، السعودية، 1439هـ.

- محسن علي عطية

72. المناهج الحديثة وطرائق التدريس، دار المناهج، الأردن، 2009.

- محمد الأمين الشنقيطي

73. مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر، إشراف بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، السعودية، 1426هـ.

- محمد اللبدي

74. معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1985.

- محمد بن صالح العثيمين

75. شرح الأربعين النووية، دار الثريا، ط3، السعودية، 2004.

76. شرح ألفية ابن مالك، مكتبة الرشد، السعودية، 1434هـ.

77. شرح حلية طالب العلم، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، السعودية، 1434هـ.

- محمد بن عبد الوهاب(ت1206هـ)

78. ثلاثة الأصول وأدلتها، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، 1421هـ.

- محمد خان

79. مدخل إلى أصول النحو، دار الهدى، الجزائر، 2003.

- محمد شُرَّاب

80. شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2007.

- محيي الدين عبد الحميد

81. التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2007.

- مسلم (مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت261هـ)

82. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د.ت.

- مصطفى المنفلوطي

83. مؤلفات مصطفى لطفي المنفلوطي الكاملة – النظرات والعبرات، دار الجيل، لبنان، 1984.

- المفضَّل الضَّبيُّ (المفَضَّل بن محمد بن يعلى الضبيُّ، ت178هـ)

84. المفضليات، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، ط6، مصر، د.ت.

- الميدانيّ (أحمد بن محمد الميداني، ت518هـ)

85. مجمع الأمثال، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المعاونية الثقافية، إيران، 1987.

- النوويّ (يحي بن شرف النووي، ت676هـ)

86. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، ط2، لبنان، 1392هـ.

المراجع الأجنبية:

- **Yun Ho Shinn**
  Teaching strategies, their use and effectiveness as perceived by teachers of agriculture, Iowa State University Ames, Iowa, 1997.

المواقع الإلكترونية:

1. https://en.oxforddictionaries.com
2. http://www.larousse.fr
3. http://www.alquds.co.uk

الفهرس

الفهرس

العنوان	الصفحة
مقدمة.....	أ-د
الفصل النظري: التأسيس النظري للمصطلحات.....	5-32
المبحث الأول: ترجمة ابن مالك.....	6
المبحث الثاني: التعريف بالألفية.....	9
المبحث الثالث: الإستراتيجية.....	13
المبحث الرابع: التمثيل.....	20
الفصل التطبيقي: دراسة الإستراتيجيات التمثيلية.....	33-102
تمهيد.....	34
الإستراتيجية المنهجية.....	40
الإستراتيجية التربوية.....	47
الإستراتيجية السلوكية.....	54
الإستراتيجية الخلقية.....	60
الإستراتيجية العقدية.....	65
الإستراتيجية الفكرية.....	73
الإستراتيجية الأدبية.....	79
الإستراتيجية الفقهية.....	86
الإستراتيجية النفسية.....	92
الإستراتيجية الكلية.....	97
خاتمة.....	103
المصادر والمراجع.....	107-115
الفهرس.....	116-117

ملخص:

يعالج البحث قضية التمثيل في النحو العربي، من حيث إنه لم يلق العناية الكافية في استعمالات النحاة منذ سيبويه إلى اليوم، ومن هنا حاول البحث تسليط الضوء على بعض الجوانب الإستراتيجية للتوظيف التمثيلي عند نحويٍّ بارز هو محمد بن مالك الأندلسيُّ، من خلال ألفيته المشهورة، وذلك بدراسة نماذج مختارة من الأمثلة، تبيَّنت من خلالها جملة من المقاصد الإستراتيجية التي تصلح أن تكون نموذجا يحتذى في سبيل إصلاح الخلل الواقع في تعليم النحو العربي.

Abstract:

This research tackles the issue of examples in the arabic grammar, in that it has not received enough attention in the uses of the sculptors since Sybwyh until today. Hence, the research sought to shed light on some of the strategic aspects of the employment of examples in the 'Alfiyah' of Mohammed bin Malik Al Andalusi, to study some selected examples, through which it identified a number of strategic objectives that can serve as a model for the reform of the imbalance in the teaching of Arabic grammar.

Abstrait:

Cette recherche aborde la question des exemples dans la grammaire arabe, en ce sens qu'elle n'a pas reçu assez d'attention dans les utilisations des sculpteurs depuis Sybwyh jusqu'à aujourd'hui. Par conséquent, la recherche a cherché à faire la lumière sur certains des aspects stratégiques de l'utilisation des exemples dans la 'Alfiyah' de Mohammed bin Malik Al Andalusi, pour étudier quelques exemples sélectionnés, à travers lequel il a identifié un certain nombre d'objectifs stratégiques qui peuvent servir un modèle pour la réforme du déséquilibre dans l'enseignement de la grammaire arabe.